

كتاب

﴿المحزون • في تسلية المحزون﴾

لامام من متقدمي أئمة الأدب • المتسكين
من أسباب العلوم والمعارف بأقوى
سبب • نور الله بأنوار الرحمت
ضريحه • وأسكنه في معاهد
الرضوان العرف
الفسيحة
آمين

﴿قال في كشف الغنون مانعه﴾

المحزون في تسلية المحزون • ذكره السخاوي في إرتياح الأكباد
اه ومن تأمل هذا الكتاب العزيز المثال • العديم المثال • علم أنه كتاب
وافق اسمه مسماه • رق لفظه وراق معناه • ولهذا قد اعتنى بطبعه •
رغبة في نشره لتعميم نفعه • حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد العتر
أحد أفاضل دمياط فجزاه الله أحسن الجزاء عن سعيه المشكور
ووقفه لأحراز الفضائل وأدام له السرور

﴿حقوق الطبع محفوظة﴾

﴿الطبعة الأولى﴾

سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م

﴿مطبعة النيل بشارع باب الخلق بجوار الكتبخانة بتصراف﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الباقي على الدوام . المان بفضلہ على جميع الأنام (والصلاة والسلام) على أشرف خلقه محمد سيد الأنام . وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ﴿ وبعد ﴾ فهذا كتاب جمعت فيه من رقائق الأذكار . ومن مهمات الوعظ والتذكار . جعلته تبصرة للغافلين . وعظة للسامعين . ومنهلا للعارفين . وتذكارا لمن أنقذه الله من سنة الغفلة . وأيقظه من غفلات المهلة . فرأى الدنيا بعين العبر أن مآلها للزوال . وبقاءها مصور بالحال . وأن الصفو فيها كدر . وتقلبها عين العبر ﴿ وسميته المحزون . في تسلية المحزون ﴾ ورتبته على ستة وأربعين بابا من أعجب العجائب . وضمنته من المواعظ والآثار ما تقر به عين أولي الالباب . فأقول وبالله المستعان . وعليه التكلان

الباب الاول

(فيمن رغب في جمع المال . فظن أن الدنيا ليس لها زوال)

قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) فاخبر تعالى أن المال وإن كان فيه زينة للإنسان . فجمعه مع الحرص عليه والشح به نوع من الخسران . وأن العمل

الصالح أحب الى الله تعالى من شيء زائل . وأنجح الى المولى سبحانه من ظل مائل .
وقد ذم الله تعالى من جمع المال . وطمع في جمعه بزيادة الآمال . ولم يصرفه في
وجوه الخير والصالح . ولم يرد به الفوز والنجاح . فقال في حق الوليد (انه
فكر وقدر) (وجمع فأوعى) وذكر السعير فقال (ويصلى سعيراً انه كان
في أهله مسروراً) وقد علم أن السرور لصاحب النعمة دون الفقير . وذكر
سقر فقال (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبين شهودا)
الى قوله (سأصليه سقر) وذكر الجحيم فقال (وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا
فان الجحيم هي المأوى) قال بعضهم سمعت ابراهيم الواعظ الحافظ يقول في قوله
تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) بالاعراض والغفلة (فتحنا عليهم أبواب كل شيء)
بالدنيا والنعمة (حتى اذا فرحوا بما أتوا) بارتكاب المعصية (أخذناهم بنته) بالسخط
واللعنة (فاذا هم مبلسون) بالهجران والقطيعة وقال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا
كماء أنزلناه من السماء) قيل انها شبهت بالماء لانه ينزل قطرة قطرة ويذهب جملة
ولانه مادام الماء يجدهبوطاً لا يستقر في صمود . ومادام المال يجدهبوطاً لا يستقر
مع سخى (وقال ابو تمام الطائي)

لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي
وان الماء لا يجده القرار فيه . وفي كثرة الماء مضرة وفي أقله كفاية
ولانه لا يميز بين اللثيم والكريم ولانه لا يمكن رد الماء الى السماء كذلك
لا يمكن رد الرزق من أحد والماء اذا مكث أنتن وبالماء يبين الريحان من
غيره . والماء ينزل من فوق كذلك ينزل الرزق . والماء ينزل في
موضع دون موضع ﴿ مسألة ﴾ (فان قيل) قال الله تعالى (كتب عليكم اذا
حضر أحدكم الموت ان ترك خيراً الوصية) فسمى المال خيراً (فالجواب) أنه ليس
كل ذكر خير لمحمود ألا ترى قوله تعالى (ورد الله بالذين كفروا بغيظهم

لم ينالوا خيراً) (٣) وأما (ووجدك عائلاً فأغنى) يعني أرضاك بما أعطاك
وقيل فقيراً عن الأصحاب فأغناك بهم وقوله عليه الصلاة والسلام (كاد الفقر أن
يكون كفراً) المراد به كاد الفقر إلى غير الله ومعاذ الله أنه أراد به الزهد في
الدنيا فقد ندب الله تعالى إليه . وحدث المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه* والذي يدل على
أن الغنى المحمود غنى القلب خبر (حدثنا) محمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن
يزيد العدل حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن
صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه واسمه جندب
ابن جنادة الغفاري وقيل جندب بن السكن قال قال سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم أترى أن كثرة الأعراض هو الغنى قلت نعم قال وتري أن قلة المال
هو الفقر قلت نعم قال ليس كذلك قال إنما الذي غنى القلب والفقر فقر القلب
(وعن) عطاء عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله فقيراً ولا
تلقه غنياً قال قلت كيف لي بذلك يا رسول الله قال هو ذلك والا فالنار (وعن)
ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبا للذهب والنضة يقولها ثلاث
مرات فقال عمر يا رسول الله أي المال نتخذ قال لساناً ذا كراً وقلباً شاكراً
وزوجة مؤمنة (وعن) انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من عبد أولى في الدنيا غني الا ودّ يوم القيامة أن كان أوتي قوتاً (وعن)
أبي سميد الخدري رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (من ذا الذي يقرض
الله قرصاً حسناً) قال فجعل يحيى أغنياء المهاجرين بألف وألّتين وجعل يحيى
صعاليك المسلمين بصاع وصاعين فلما رأوا أصحاب الأموال جاؤا بها قالوا
يا رسول الله سبقنا الأغنياء بالجنة قال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ويل
للأغنياء الكثيرين الا من قال بالمال هكذا عن يمينه وهكذا عن شماله وهكذا
من بين يديه وهكذا من خلفه ان صعاليك المؤمنين يدخلون الجنة قبل

أغنيائهم بخمسمائة عام. وقال صلى الله عليه وسلم ان فقراء أمتي يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة عام فقال رجل منهم أنا منهم يارسول الله قال ان تغديت هل رجعت الى عشاء أو تعشيت بيت معك غداء قال نعم قال لست منهم فقام رجل فقال أأنا يارسول الله قال هل سمعت ماقلنا لهذا قال نعم قال تجد ثوبا سوى ماءليك قال نعم فقال لست منهم فقام رجل آخر فقال أأنا يارسول الله قال هل سمعت ماقلت لهذين قال نعم قال هل تجد قرصاً كلما شئت أن تستقرض قال نعم قال لست منهم فقام آخر فقال أنا منهم يارسول الله قال هل سمعت ماقلنا لهؤلاء قبلك قال نعم قال هل تقدر أن تكسب مايعيشك قال نعم قال فلست منهم فقال خامس أأنا يا نبي الله قال هل سمعت ماقلنا لهؤلاء فقال نعم قال هل تمسي عن ربك راضيا وتصبح راضيا قال نعم قال فأنت منهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سراقا المؤمنين في الجنة الذي اذا تغدى لم يجد عشاء واذا تعشى لم يبت له غداء وان استقرض لم يجد قرصاً وليس له فضل كسوة الا ما يواريه مالا يجد بدا ولا يقدر على ان يكتسب مايعيشه يمسي عن الله راضيا ويصبح راضيا أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين. (وعن) ابي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت اني دخلت الجنة فنظرت واذا أعلى أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين ليس فيها احد أقل من الاغنياء والنساء فقهل لي أما الاغنياء فانهم على الباب يحاسبون ويمحصون وأما النساء فأهل كهن الاحمران الذهب والحرير ثم خرجت من احد الثمانية من الابواب فجعلوا يعرضون على أمتي رجلا رجلا فاستطلبت عبد الرحمن بن عوف فلم أره الا بعد يأس فلما رأني بكى فقلت عبد الرحمن ما يبكيك قال والذي بعثك بالحق ما رأيتك حتى ظننت اني لا أراك ابداً قلت ومم ذلك قال من كثرة مالي

مازلت أحاسب بعمدك وأمحص . (وعن) انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحشر يوم القيمة اقوام لهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قلت يا رسول الله أيسلون فقال كانوا يصلون ويصومون يأخذون هدأ من الليل فاذا أرادوا شيئاً من الدنيا وثبوا عليه

الباب الثاني

(الزهد في الدنيا سنة كل عالم لبيب . والامر بتركها عظة كل ناصح أريب)
 (عن) أبان عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالدنيا في صورة قبيحة فتقول يا رب أنا الدنيا فاجعلني اليوم لادنى أهل الجنة منزلاً قال فيقول الله عز وجل لها أنت أقل من ذلك أنت أحقر من ذلك أنت وأهلك في النار . (وعنه) صلى الله عليه وسلم من أخذ من الدنيا حلالاً حاسبه الله به ومن أخذ من الدنيا من الحرام عذبه الله أفّ للدنيا وما فيها من البليات حلالها حساب وحرامها عذاب . (وعنه) صلى الله عليه وسلم من بكى على الجنة أدخله الله الجنة ومن بكى على الدنيا أدخله الله النار وما خلق الله خلقاً أبغض عليه من الدنيا وما نذر الله الى الدنيا منذ خلقها بغضاً لها . (وعن) الحسن البصري رضى الله عنه أنه قال مامثل الدنيا من أولها الى آخرها الا كمثل رجل نائم فرأى ما يعجبه ثم استيقظ فلم ير شيئاً . (وعن) وهب بن منبه رضى الله عنه قال قرأت في الحكمة يا ابن آدم لو آتيتك الدنيا كلها وكانت لك لم يكن لك فيها الا قوتك فقد آتيتك قوتك منها وما لم أوتك جعلت حسابك على غيرك (قال) وسمعت شيخني يقول يا من جمع المال لورثته . وأقر على نفسه بتبعته . كن أولى الناس بنفعه . كما كنت أولى الناس بجمعه . (وقال) علي بن أبي طالب رضى الله عنه سمعت أن أناساً يقولون اذا كان قوت على هذا فقد

أقعده عن مبارزة الاقران ومفاخرة الشجعان (وعن) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى سهل بن خنيف (أما بعد) يا ابن خنيف فقد بلغني أن رجلا من قطان البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت . وكرر عليك الجفان فكرعت . وأكلت أكل يتيم نهم . ووضع شهم . وما خللتك تأكل طعام قوم عائلهم مجفو . وغنيهم مدعو . واعلم أن امامكم قد اكتفى من دنياكم بطمريه . يسد فورة جوعه بقرصيه . ولا يعلم التلذة في حويله . الا في سنة أضحيته . وان تقدرُوا على ذلك فأعينوني بورع واجتهاد فوالله ما كثرت من دنياكم تبرا . ولا ادخرت من أقطارها شبرا . ولا أقتات منها الا كقوت أتان دبرة . ولهي في عيني أهون من غصص مقرة . اليك عني يادنياي فحبلك على غاربك قد بتك ثلاثا لا رجعة لي فيك والله لو أعطيت الاقاليم السبعة على أن أظلم نملة في ورقة تلوكها في فمها مافات ولقد جاعني عقيل يشكو اليّ سغب أرا عيل . يستمنحني صاعا من بر كم أو صاعا من شعير كم . فأحيت حديدة ثم أصغيتها الى بدنه فان أنين الدنف الهائم فقلت ثكالك الثوا كل أثن من حديدة أحماها انسان لمدعيه . (٣) وتجترى الى نار سجرها الرحمن لمبفضيه . ولقد سمعت اناسا يقولون اذا كان قوت على هذا فقد أقعده ذلك عن مبارزة الاقران . ومناجزة الشجعان . أما سمعوا الله تعالى يقول (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) الآية والله ما قلعت باب خير بقوة جسدانية . ولا بحركة غذائية . لكني أيدت بقرة ملكوتية . ونفس بنور ربها مضية . وأنا من أحمد صلوات الله وسلامه عليه كالضوء من الضوء . ولقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من رافعها فقال لي ألقها فذو الاتن لا يرضاها لبراذعها . فقلت له اغرب عني . عند الصباح يحمد القوم السرى . وتنجلى عنهم غيايات الكرى . والخبر

وما الدنيا وزبرجها سوى ما * تراه في الهواء من الهباء

فلا تركز لما أوتيت منها * ودعه فالمصير الى القضاء

(وذم المال يوما في مجلس يحيى بن معاذ) فقال بعض الاغنياء هذا عثمان قد جمع المال فقال انظر أن لا يكون طلبك للمال طلب عثمان . وفعلك فيه فعل الشيطان (وقال مالك بن دينار) يا طالب الدنيا دنا فراقها . فتزويجها أسرع من طلاقها . ومن يخطبها فدينه صداقها . الدنيا رواحل . وانفاسها رواحل . وأيامها مراجل (وعن الحسن البصري) انه كثيراً ما كان يقول يا معشر الشباب عليكم بالآخرة فاطلبوها فكثيراً ما رأينا من طلب الآخرة فادرك الآخرة مع الدنيا وما رأينا أحدا طلب الدنيا فادرك الآخرة مع الدنيا

الدهر يبلى وآمال الفتي جدد * يزيد آماله والدهر يفنيها

ليل وصبح وأجال مقدره * تمضي ونمضي وتطويننا ونطويها

(قال وجدت بخطي عن بعضهم) قال دخلت على النظام وفي يده قدح دواء وهو يتفكر في شربه فلما بصري قال اصبر في دار البليات . أدفع آفات باآفات (وعن كعب الاحبار) قال وجدت مكتوبا في التوراة يا ابن آدم كم من عين ساهرة من أجل عين نائمة وكم من قائم لقاعد يجمع رزقه وليس له فيه الا الحساب . يا ابن آدم لا تحزن على ما فاتك من الدنيا ولا تفرح بما آتيتك من الدنيا فان الدنيا اليوم لك وغدا لغيرك . يا ابن آدم أنت في طلب الدنيا والآخرة في طلبك . وأنت في طلب الحياة والموت في طلبك . يا ابن آدم لو تركت الدنيا لاحد من عبادي لتركها لانيائي . ليدعوا عبادي الى طاعتي واقامة أمري (وقيل) لعبد الله بن المبارك ما التواضع قال التكبر مع الاغنياء

الباب الثالث

(مامدح من الدنيا حكيم ولا عاقل الا للزود منها لاجل الآجل)

(عن) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الدنيا فتم مطية المؤمن هي بها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر (وعنه) صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه (وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو (٣) نعم المال الصالح للرجل الصالح وعنه صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استغففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعظفا على جاره جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مفاخرًا مكثرا آتني الله وهو عليه غضبان (ولما) حضرت سعيد بن المسيب الوفاة أخرج دنائير ثم جعل يقول اللهم انك تعلم أنني لم أجمعها الا لاصون بها ديني (وقال) سفيان الثوري رحمة الله عليه المال في زماننا هذا سلاح المؤمن (وللقية أحمد) بلوت أناسا واختبرت اكبرا * وعاشرت اخوانا وجربت من نصيح فلم أر محبوبا أصح مودة * وأنجح في الحاجات من درهم وضع (وقال سفيان الثوري) لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب اليّ من أن أحتاج الى الناس . وعن وكيع قال قال سفيان حين عاتبته في تقاليه الدنائير دعنا منك فانه لولا هذه لتمنل بنا القوم تمنلا . وعن بعضهم قال دخلت على ابن المبارك وهو يبكي فقلت له مالك يا أبا عبد الرحمن قال بضاعة لي أذهبت ديني فقلت أتبكي على المال قال نعم انما هو قوام الدين (وقيل) ان رجلا قصد عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه في دين لزمه فرأى عبد الرحمن يخرج الحشف من التمر ثم حاسب وكيه في ثلثي درهم فأيس الرجل وقام (٢ - المخزون)

ليخرج فقال له عبد الرحمن لا تخرج وقل حاجتك ففرض عليه القصة ثم قال أياست
منك فقال عبد الرحمن أعطوه دينه ثم قال ان محاسبي الوكيل واخراج الحشف
من التمر هو لاجل ان أعطيك اثني عشر ألف درهم الذي لزمك . وقال
بعضهم من رزق السخاء والتقوى وهو في سعة من الدنيا كان خزاناً من خزان
المولى . وعن علي رضي الله عنه المال يسود غير السيد . ويقوي غير الايد .
الفقر في الاذن وقر . وفي العين عقر . وفي الجوف بقر . وفي القلب نقر .
ومن جمع بين الزرع والضرع والتجارة فقد استثمر الثبر من التجارة . الغني
مجل مبجل . والفقر مذل مبتذل . متى يستقل المقل . مال المرء موئله .
وقوته قوته . الدراهم مراهم . الذهب خير مال حاضر . لباد وحاضر .
(ووجدت في كتاب أخي)

إذا كنت ذا ثروة من غنى * فانت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم
(وكان) أبو القيس في العرب يحب الدرهم ويمدحه فاذا وقع الدرهم في
يده نقده ثم قال كم يد لمستك وكم من بلد قد طفت أبشر وقر عينا فقد
استقر بك المنزل واطمأنت بك الدار * وكان أخ له يقول كل مدح للدراهم
لاجل النفقة في باب الصدقة . فانها سخنة عين الحديقة . وقيل المال أثمان المعالي
وقيم النفوس . وجناح الهم وصوان الاعراض

الباب الرابع

(ومن فتن الدنيا ان كل فاضل فالتراب بساطه . وكل جاهل فعلى الثريا سباطه)
(عن انس بن مالك رضي الله عنه) قيل يا رسول الله متى يترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم مظهر في بني اسرائيل قبلكم

قالوا وما ذلك يا رسول الله قال اذا ظهر الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم
وتحول الملك في صغاركم والفقرة في رذالككم. (وعنه) صلى الله عليه وسلم لهوان الدنيا
على الله أن يحيي بن زكريا صلى الله عليهما وسلم قتلته امرأة يني. وقال لا تقوم
الساعة حتى يصير العلم الى الاراذل والملك الى الانذال والدنيا الى السفلى. وقال
بزرجمهر. حقيق بالبكاء حر ابتلى بعبد وعافل ابتلى بجاهل وكريم ابتلى بئيم وانشد
كم من أديب عافل فاضل * مستكمل اللب مقل عديم
ومن جهول وافقر ماله * ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ولبعضهم﴾

ان ضاق كفى فهتي أبدا * أرفع من همة المياسير
أرى رجالا قد خولوا نعا * في خفة العقل كالعصافير
تبارك الله كيف يرزقهم * لكنه رازق الخنازير
(وللامام) محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه
رزقت مالا على جهل فعشت به * فلست أول مجنون بمرزوق

﴿ولبعضهم﴾

كم قد سمعت وكم أمسيت في طاب * وقت للدهر قم غني فلم يقم
وقدت نفسي الى قوم لأخدمهم * لو ساعد الدهر كان القوم من خدمي
﴿وقال آخر﴾

أتعرف في الدنيا كريما تؤمه * لدفع مله او لبذل جليل
فلاه دهر خيره للئامه * وأحراره صرعي بكل سبيل
(وقيل) لما أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام الى فرعون كان عليه
لباس من صوف ونعلان من جلد حمار غير مذكي وشكا الى الله تعالى جوعه وفقره
وما فيه فرعون من الزينة والقوة فأوحى الله تعالى اليه أتبدل ما أعطيتك بما

آتيته قال أستغفر الله (ولبعضهم)

أقول فيك على خبر ومعرفة * ان الدليل ذليل حيثما كانا
لولا زمان تولى في تصرفه * ودولة ظلمت ما كنت انسانا

❦ الباب الخامس ❦

(ومن محبها أنك تعيش الدهور والازمان . ولا تجد صديقا صدوقا من الاخوان)
(وعن ذي النون) أنه قال أطول الناس سفرا من طلب أخليس فيه
عيب . وكان نقش خاتم ابن ابي دوادوما وجدنا لاكثرهم من عهد . فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات . (وقيل) ان الشافعي رضى الله عنه دفع اليه رقعة وقد
جلس للمناظرة مكتوب فيها .

عفا الله عن عبد أعان بدعوة * خليلين كانا دائمين على الود
الى أن وشى واشى الهوي بنيمة * الى ذلك من هذا خلا عن العهد
(وقال بعضهم)

أراك خلاف النصح ناصحك الادنى * وخانتك في صدق الوفايدك اليمنى
فلا تطلب الحسنى من الناس باطنا * فحسبك أن تلقى لهم ظاهرا حسنى
سكنت الى الدنيا الدنيئة مدة * فطاب لي فيمن عرفت بها سكني
وساءلت عن معنى الصديق ووصفه * فألقيته في الناس لفظا بلا معنى
(وقال) أبو القاسم الحكيم الصداقة عداوة الا ماصافيت . والمال حسرة
الا ماواسيت . والمخالطة تخليط الا ماداريت (وقيل) لسفيان الثوري دلي
على رجل أجلس اليه قال تلك ضالة لا توجد . وقال الاعمش رأينا أقواما كان
الرجل منهم لا يلقى أخاه الشهر والشهرين فاذا لقيه لم يزدده على كيف أنت
وكيف الحال ولو سأله شطر ماله لا عطاء ثم أدركت أقواما لو كان أحدهم يلقى

أخاه يوما سأله عن الدجاجة في البيت ولو سأله حبة من ماله لمنعه إياها (وقيل)
ان رجلا سأل سفيان الثوري عن الاخوة في الله فقال تلك طريق نبت
عليها العوسج (ولا حمد بن يحيى بن ثعلب)

احذر مودة ماذق * مزج المودة بالحلاوة
يحصي الذنوب عليك ايام الصداقة للعداوة
(آخر) لا خير في صحبة انسان * يأتي من القدر بألوان
فلعنة الله على صاحب * له لسانان ووجهان
شر الاخوان من اذا حضرائتي ومدح . واذا غاب غاب وقدح . شر
الاصدقاء من ظاهره موافق . وباطنه منافق . شر الاخوان من يزن بالميزان
الخفيف . ويقوم بالثمن الطفيف

بليت باخوان هذا الزمان * فافلت بالهجر منهم نصيبي
وكلهمو ان تأملتهم * صديق العيان عدو المغيب
(وقال آخر)

اذا ما الناس جربهم ليب * فاني قد أسكرتهم وذاقا
فلم أر ودهم الا خداعا * ولم أر دينهم الا نفاقا
(وقال آخر)

يا غارسا بيمينه * طلب الثمار من السباخ * يا جاعلا بيض القطا
تحت الحد اطلب الفراخ * فسد الاحبة كلهم * فانظر لنفسك من توأخي
(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من نظر الى أخيه نظر مودة لم يك في
قلبه عليه احنة لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وقيل) الصديق
الصدوق أول العقد . وواسطة العقد . وقربة الوداد . أقرب من لحم الولاد
وليس للاخ اذا حضر عديل . ولا للحبيب اذا غاب بديل . فحضوره روح

الحياة . وفراقه سم الحيات (وقيل) ان الله تعالى عوض المؤمن عوضين اثنين من شئين أقام له المسجد عوضاً من الجنة وأقام له النظر الى اخيه عوضاً من النظر اليه . (وقيل) كان بعض السلف يوصي باتخاذ الاخوان ويقول لا يدري لمن يكون هناك الجاه . والقدر فيشفع . وقال على رضى الله عنه من كان له صديق حميم فانه لا يعذب ألا ترى كيف أخبر الله تعالى عن أهل النار في قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم . وقيل لقاء الاحباب . لقاء الالباب . وقيل في لقاء الاخوان . روح الجنان . وراحة الجنان . فاذا كاتبته فليكن المداد . من سواد الفؤاد . والقرطاس من بياض الوداد . (وقال) أبو بكر الوراق في المعاشرة انها مأخوذة من العشرة يعاشر الحكيم بالطاعة . والعاقل بالاعتداء . والاحق بالصبر . والجاهل بالمداراة . والمبتلى بالرحمة . وطالب الدين بالمعونة . وطالب الدنيا بالمروءة . ومن فوقك بالتواضع . ومن دونك بالرفق . والمطيع بالتعظيم .

❦ الباب السادس ❦

(ومن محنهما من أحسن الى غير أهله فقد عطل احسانه . والولد السوء يشين والده ويهدم بنيانه) (وعن) النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير اهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب . وعن علي رضي الله عنه قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومعهم عبد الله بن سلام فقال عبد الله بن سلام بابي أنت وأمي ألا أحدثك كان في بني اسرائيل أعجب من العجب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال خرج حمير بن عبد الله متصيداً فلما أقفرت به الارض فاذا بحية قد انسابت بين قوائم دابته حتى قامت على ذنبها والخبر الى آخره (وقال سفيان الثوري) وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام . وقيل ان أحد بني عقيل خرج في ابتغاء الصيد فاذا هو بضبع تؤم نحوه فأجارها فينما هو في صيده اذا بفارس قد أتى في طلبها

فلما علم أنه قد أجارها انصرف فأتى بها منزله وأمر أهله فأطعموها وسقوها
وخرج لحاجته فوثبت على ابن له صغير فشقت بطنه فقتل له الحق ابنك فقد قتل
فانصرف الى أهله فاصاب ابنه ميتاً فقال .

ومن يجعل المعروف مع غير أهله * يلاقى الذي لا قى مجيرام عامر
أعد لها لما استجارت بيته * لبانا من البان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف الى غير شاكر
(وقيل) ان رجلاً مر بمنافزة فوجد فيها بئراً حفروها لصيد السباع وقد وقع
فيه انسان ونمر وقرد وحية فقال الرجل لا أعمل اليوم عملاً أفضل من نجاة
أخي هذا من بين أعدائه فأخذ حبلاً ودلاه في البئر فتعلقت به الحية فاخرجها
ثم دلاه فتعلق به القرد ثم دلاه فتعلق به النمر فشكروا جميعاً صنيعه وقالوا
لا تخرج هذا الانسان من البئر فانه ليس في الاشياء أقل شكراً من الانسان
فلم يلتفت الى قولهم فدلاه فاخرجه فقال القرد ان منزلي في جبل كذا وكذا ان
مررت به يوماً فصوت لي لعلني أكاثك وقال النمر منزلي في أجمة كذا
وكذا وقالت الحية منزلي في مدينة كذا وكذا وقال الرجل ان منزلي في مدينة
هذه الحية ان دخلتها يوماً فانزل على لعلني أكاثك فنصرفوا على هذا فر
الرجل ذات يوم على القرد فصاح به قائلاً وتواضع له فذهب وجاءه بنوا كه
كثيرة وقال انك تعلم أنا لا نقدر على شيء سوى القها كهة فاعذرني ثم مر هذا الرجل
بأجمة النمر فصاح به فخرج وتواضع له وذهب فاستقبلته ابنة الملك وعليها
من الحلي ما لا يوصف فقتلها وسلب عنها حليها وجاء به اليه فاعتذر اليه فقال
هذا مما لا أرجو منه فكيف يصنع في أخي الضائع فمر به ونزل عليه
وقال معي حلي فاعني على بيعه قال أرنه فأراه اياد فقال فف آتاك بالمشتري

فذهب الى والد البنت فعرفه فجاء الشرط والاعوان فأخذوه وضربوه
وسجنوه وأعلموا الناس ليجتمعوا في غد ليروا عذاب هذا اللص فلما جن
الليل وهو في السجن صاح بالحية فجاءت اليه وخضعت له وقالت له
ألم نقل لك فلم تقبل نصيحتنا ولكن أنا أحتال لك حيلة فذهبت الحية فلدغت
ابن الامير وطوقت في عنقه فلم ينفعه رقية الراقين والامير والناس يبكون على
الفتى فصاحت الحية وقالت اسمعوا قولي لا ينفعه شيء دون خصلة واحدة
قالوا وما هي قالت ان في السجن انسانا صالحا ناسكا عابدا وهو مظلوم فلو
وضع يده عليه لتنجيت عنه وبريء قال فاخرج الشاب فوضع يده عليه فبريء وصح
فقال له الامير أخبرني بقصتك فاخبره بما جرى عليه فقال الامير والناس جميعا
صدق القرد والنمر والحية فصلبوا الضائع ونجا هو (وقيل) أضيع الاشياء خمسة
سراج في الشمس . وعروس عند عنين . ومائدة بين يدي شعبان . ومطر
في أرض سبخة . ومعروف يصطنع الى غير اهله . وقيل الاحسان الى اللئيم
اضيع من الرقم على البساط . والنقش على الماء . والخط في بسيط الهواء . والاحسان
عنده اذا وضعته . فقد أضعته . التقام السلام . أهون من السلام على
اللاثام . عشرة اللئيم . من العذاب الاليم .

(فصل) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي
دين دينه الا من فر من شاهر الى شاهر ومن جحر الى جحر كالشعلب الذي
يروغ قالوا ومتى يارسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان كذلك
حلت العزوبة قالوا كيف ذلك يارسول الله وقد امرتنا بالتزوج قال انه اذا
كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلي
يد زوجته وولده فان لم تكن له زوجة ولا ولد فعلي يد قرابته وجيرانه قالوا
وكيف ذلك قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلف مالا يطيق حتي يوردوه

موارد الهلكة . وقيل لواحد تريد الولد قال لاقيل ولم قال لانهم ملوك في
صغرهم واعداء في كبرهم (وقال الاحنف) الصاحب الموافق خير من الولد
المخالف وتلا قصة نوح انه ليس من اهلك (وانشد ابن الرومي)

فلا تفخرن الا بما قد فعلته * ولا تحسبن المجديورث بالنسب
وليس يسود المرء الا بنفسه * وان عد آباء كراما ذوي حسب
اذا العود لم يثمر وان كان شعبة * من الثمرات اعتده الناس في الحطب
(ولا آخر)

قيل للقاسم الوحي * قابلك الدهر بالنجائب
مات لك ابن وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعائب
حياة هذا كوت هذا * فليس تخلو من المصائب
(قال الشيخ) العقوق مأخوذ من عقت الشيء اذا شقته وقطعته . ومنه قيل
للشاب اذا كان فيه شق عق حكى ذلك الاصمعي عن العرب ومنه قيل
للعقيق عقيق لانه اخرج من جوهر فشق . ومنه قيل ان فلانا عقى آباه أي
قطع بره عنه . ومنه قيل لموضع بالمدينة عقيق لانه قطع بالعمارة عن سائر المواضع
بها . والعرب تقول عقيقته فهو عقيق ومعقوق (وانشدني بعضهم في ولد مخالف)
أبوك أب حرّ وأملك حرّة * وقد يلد الحران غير نجيب
فلا يعجبين الناس منك ومنهما * فما خبت من فظة بعجيب
(وسمعت) الربيع يقول أتيت الشافعي رضي الله عنه ورجل بين يديه جالس
فقلت هو بآب والديه فقال الشافعي رضي الله عنه اعل والديه كانا بآرين بوالديهما
(وعن) ابن أوس عن أمه قالت الادب من الآباء والصلاح من الله عز وجل

❦ الباب السابع ❦

(ومن فتنها ان الخلوة والعزلة في هذا الزمان . صيانة الدين وراحة الابدان)

(وعن سفیان الثوري) رضي الله عنه قال دخلت على جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم فقلت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراك قد اعتزلت عن الناس فقال ياسفيان فسد الزمان وتغير الاخوان فرأيت الانفراد سكنا للفقراء . ثم أنشأ يقول

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذهاب * والناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفاء * وقلوبهم محشوة بعقارب
(وعن انس) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لو سمعت باسم الرجل خير من ان تلقاه ولو لقيت خيراً من أن تجربته ولو تجربته لا بغضته وانبغضت عمله (وقال ابو القاسم الحكيم) الغفلة طرب والتفكير كرب . والسلامة هرب . والرياسة عطب . والراغب فيها عجب . والخلطة جرب ﴿ حكاية ﴾ قال عبد الواحد بن زيد مررت براهب وسألته منذ كم أنت في هذا المكان قال منذ اربع وعشرين سنة قلت من أنيسك قال الفرد الصمد قلت من المخلوقين قال الوحوش قلت فطاعمك قال ثمار الاشجار ونبات الارض قلت أفلا تشاق الى الناس قال منهم هربت لاني قرأت في كتاب الشيخ أنه كان يأمر بالاعتزال والانفراد عند فساد الارض قال عبد الواحد لقد حسدته (وعن أبي الربيع المعاند) قال قلت لداود الطائي أوصني فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك على الموت وفر من الخلق كما تفر من الاسد (وأنشد بعضهم)

لزمت بيتي لاجل بيت * قد قلته في بني الزمان
ان بني الدهر فاجتنبهم * لفظ تعرّى عن المعاني
(ولبعضهم)

زمان قل فيه الناس حتى * كأن الناس في فلك البروج
وقالوا قد لزمت البيت جداً * فقلت لقد فائدة الخروج

(وعن الحسن البصري) رحمة الله عليه قال الناس في زمانكم على ستة أصناف اسدوذئب وخنزير وكلب وثعلب وشاة. فأما الاسد فلوك الدنيا يفترون ولا يطعم أحد في فرستهم. وأما الذئب فالتجار يذمون إذا اشتروا ويمدحون إذا باعوا همتهم في جمع المال للموارث يودون لو وصلوا الليل والنهار حرصاً على الدنيا. وأما الخنزير فالمتشبه بالدنيا يدعى إلى كل ذي زى فيجيب. وأما الكلب فالفاجر يتبع الفاجر فهارش به من شئت. وأما الثعلب فالمرء المتصنع للناس بدينه يخادع الناس كي ينال من دنياه. وأما الشاة فالمرء من يجز صوفه ويحلب لبنه ويؤكل لحمه ويمزق جلده ويكسر عظمه فكيف مقام شاة بين ذئب واسد وخنزير وكلب وثعلب (وقيل) لعروة حين فارق مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل بالعقيق تركت المسجد يعني مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قال لاني أرى ألسنتكم لاغية. وأسماعكم صاغية. وقلوبكم لاهية وأديانكم واهية. خفت أن تلحقني معكم الداهية (وقيل) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر براهب فقال ياراهب ما أنزلك هذه الصومعة فقال يا أمير المؤمنين إن دينكم جديد وديني خلق ولو خلق دينكم لم يكن شيء أحب إليكم من مثل هذا (وجدت) في كتاب أن علي بن بكار قال ما بقي من روح الدنيا إلا لقاء الإخوان. والتهد بالقرآن. وبيت خال يستريح فيه الإنسان (قال) سفيان ابن عيينة رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة وهو يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم لحظ لحظة الي وقال يا ابن عيينة أقل من معرفة الناس فاني رأيت اقواما يشار اليهم بالاصابع قد هلكوا

الخير أجمع في السكوت * وفي ملازمة البيوت

فاذا اتاني ذا وذا * فقناعتني بأقل قوت

❦ الباب الثامن ❦

(ومن محنها غربة الكرام والاحرار . وبأيهم عن الاوطان والديار)
 (قال النبي) صلى الله عليه وسلم من اكرم غريباً وجبت له الجنة الغريب في الغربة
 كالجهاد في سبيل الله يرفع له بها كل قدم درجة ويكتب له خمسون حسنة
 اكرموا الغرباء فان لهم شفاعاة يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات
 مستجابات لاشك فيهن دعوة المسافر ودعوة المظلوم ودعوة الوالد
 لولده . وقال صلى الله عليه وسلم من تبسم في وجه الغريب ضحك الله اليه يوم
 القيامة ومن صالحه وأعانته جاز على الصراط اسرع من طرفة العين ويدخل
 الجنة بغير حساب (وقال) عليه الصلاة والسلام ان الاسلام بدا غريباً وسيعود
 غريباً كما بدا فطوبى للغرباء قيل ومن هم يارسول الله قال الذين يصلحون اذا
 فسد الناس انه لا وحشة ولا غربة على مؤمن ومامن مؤمن يموت في غربة الا
 بكت الملائكة رحمة له والا فسخ الله له في قبره بنور يتلأأ من حيث دفن
 الى مسقط رأسه (وعنه) صلى الله عليه وسلم من أعان مؤمناً مسافراً في حاجة
 نفس الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة ممزنة عند الكربة العظمى قيل يارسول الله وما
 الكربة العظمى قال حيث يتشاغل الناس بانفسهم حتى ان ابراهيم عليه الصلاة
 والسلام يقول أسألك بخلتى أن لا تسلمني اليها . ومن فضل الغربة ان صاحبها
 يرى من عجائب الامصار . وبدائع الاقطار . ومحاسن الآثار . مايزيده علماً
 بقدرة العزيز الجبار . ويستمتع بالعجائب . ويكتسب التجارب . والسفر يفتح
 المذاهب . ويحجب المكاسب . ويشد الابدان . وينشط الكسلان . ويسلي
 الشكوان . ويشاهد بهيمة العلم والدين . وآثار الصالحين والمتقين . ويسفر عن
 اخلاق الرجال .

أقول لنفسي الآن عند اغترابها * ألا فاصبري فالموت خير من الذل
ولا تعجلى ياتقس بالرزق انه * ستأتي به الاقدار يوما على رسل
(وقال آخر)

اذا نلت في أرض معاشا وان نأت * فلا تطلبن منها نزوعا الى الوطن
فعش واستدم مانلت فيها فانما * نزوعك للاوطان منها لمن غبن
وما هي الا بلدة مثل بلدة * وخيرها ما كان عوننا على الزمن
لموتك بالاً وطان أودار غربة * سواء اذا لم تخش شيأ من المحن
(وقال بعضهم)

واذا الديار تشكرت أحوالها * فدع الديار وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك حتما واجبا * في موضع يدع العزيز ذليلا
(وسئل) بعضهم عن الغريب * فقال هو المحجوب عن الحبيب
أقام على المسير وقد أثيرت * ركائبه وغرد حاديها
وقال أخاف داعية الليالي * على نفسي وأنت تلقى رداها
فقلت له عزمت عليك الا * ألت من العزيمة منهاها
(وقال آخر)

اذا ذكر الغريب مجالسيه * وعيشا صافيا قد كان فيه
تضاعف غمه وازداد شوقا * كييقوب النبي على بنيه
(قالت العجم) من علامة الرشد أن تكون النفس الى مولدها مشتافة
والى مسقط رأسها تواقفة (وقالت الفرس) حرمة بلدك مثل حرمة والديك
لان غذاءك منها وغذاءها منها (وقيل) احفظ بلداً رشحك غذاؤه وارع عني
اليك فناؤه (وقيل) أولى البلدان بصبابتك اليه بلد أَرْضعت مائه واطعمت
غذاؤه (وقيل) الغريب النائي عن بلده المنحى عن أهله وولده كالشور الناد

عن جدده الذي هو لكل سبع فريسة ولكل رام قنيصة (وقيل) يحن الكريم
الى جنبه . كما يحن الاسد الى غابه . وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج
من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا
من ديارنا وأبنائنا) (وقال) عمر رضي الله عنه عمر الله البلدان . بحب
الأوطان . من امارات العاقل بره باخوانه . وحنينه الى أوطانه . ومداراته
لأهل زمانه . (وقيل) الغربة كربة . والقلة ذلة . واذا بلغت ذلة . وأردفتها
قلة . فيا لها من نفس مضمحلة (وقيل) يحن اللبيب الى وطنه . كما يحن
النجيب الى عطنه

لقد حكم الله في عدله * على من تأدب في الغربة
فيوم مشاربه مرة * ويوم مشاربه عذبه
وطابت اليهم أوكارهم * وأضحت مشاربهم رطبه
فلن يخلو النذل من فرحة * ولن يخلو الحر من نكبه
(وقال بعضهم)

وأنزلي طول النوى دار غربة * يجاورني من ليس مثلي يشا كله
لخاميته حتى يقال سجية * ولو كنت ذاعقل لكنت أعاقله
ولو كنت في أهلي وجل عشيرتي * لأفنت منهم كل حر أو اصله
(وقال بعضهم)

ألا ليت شعري والحوادث حمة * متى تجمع الايام يوما لنا شملا
وكل غريب سوف يفنى بذلة * اذا بان عن أوطانه وجفا الاهلا
(وقيل) لا عرابي ما السرور قال أوبة بغير خيبة . وأوبة بغير غيبة .
(وقال بعضهم) غيبة تفيد غني . والفة تعقب مني . ومن أصدق الشواهد

على حب الوطن ان يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه لما دركته
الوفاة اوصى بحمله الى مقابر آباءه وأجداده يعقوب واسحاق و ابراهيم صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين وعلى سائر الانبياء والمرسلين

❦ الباب التاسع ❦

(ومن فتنها محنة الزوجات والاقارب . فبعضهم كالحيات وبعضهم كالعقارب)
(في الخبر) اول ما يوضع في الميزان نفقة الرجل على اهله . وقيل خير النساء
التي طالت قامتها وعظمت هامتها (وقيل) كتب سفيان الثوري الى مبارك بن سعيد
أما بعد أحسن القيام على عيالك . وليكن ذكر الموت في بالك والسلام (وقال)
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ابغض المرأة تخرج من بيتها تجر ذيلها وتشكو
زوجها . وأوصى لقمان رضي الله عنه لابنه وقال يا بني لا تنفس شرك الى اهلك ولا
تأمن كيدها يا بني ان المرأة خلقت من ضلع أعوج ان أثمته كسرتة وان تركته
ضيعته يا بني ان النساء ثنتان صالحتان وثنتان ملعونتان . فاما احدي الصالحتين
فهي العظيمة في قومها . الدليلة في نفسها . الخريدة بدينها . ان اعطيت
شكرت . وان منعت صبرت . وان قالت صدقت . القليل في بيتها كثير .
والشر اليها بغيض . والزوج عليها عزيز . وأما الصالحة الثانية فهي الودود الولود .
التي تعود بخيرها على زوجها . وترحم صغير أهل زوجها . وترحم ولد زوجها من
غيرها . مصلحة للمال . مرضية للزوج . قانعة النفس . ان شهد زوجها
اعانته . وان غاب عنها حفظته . يا بني وأما الملعونتان فان احداها العظيمة في
نفسها . الدليلة في نسبها . ان اعطيت سخطت . وان منعت صاحت . زوجها
منها في بلاء . وجيرانها منها في عناء . وهي بمنزلة الاسد ان جاورته اكلك . وان
هربت منه قتلك . يا بني واما الملعونة الثانية فهي مع زوجها وقلبها مع جيرانها . الخير

عندها قليل والشر عندها كثير . وهي سريعة الدمعة سريعة الوثبة ان شهد زوجها لم تنفعه . وان غاب عنها لم تحفظه . ان حملت جملت . وان قالت كذبت . أن تلاعب الحية خير من أن تلاعبها . وأن تجامع الاسد خير من أن تجامعها (وعن علي بن ابي طالب) رضي الله عنه انه قال لا تأمنوا النساء على مال . ولا تطيعوهن بحال . فانهن ان تركن أوردن الممالك وعدون أثر الممالك لادين لهن عند حاجتهن . ولا ورع لهن عند فاقتهن (ونظر) افلاطون الى امرأة مكثت على شجرة فقال ايت كل شجرة أثمرت هذه الثمرة (وكتب) رجل على باب داره لا يدخل هذا المنزل شر فقال حكيم فمن أي باب تدخل امرأتك اذا (وقيل) ان رجلا قال لا آخر اني تزوجت امرأة سيئة اخلق فقال يا أخي طلقها فانها تهرم الرجل قبل هرمه وتذهب بمرءته وكرمه (وسئل) بعضهم عن الزوج فقال فرح شهر . وترح دهر . ووزن مهر . وودق ظهر . وإن ارات صفع المروج . وان ينحني ظهره ويعوج . ولا يرى ذرة من الفرج . فمره فليزوج . وثلاثة لا راحة معها الا بالمفارقة السن المتحركة المتأكدة . والعبد اذا فسد على مولاه . والمرأة اذا نشزت على زوجها (وفي الخبر) عليك بالابكار فانهن اكثر حياء واقل جفاء (وقيل) العيال أرضة المال كالسوس في الصوف زمن الصيف . وتقدم رجل الى آخر فقال أريد أن احتجم وأزوج فبأيهما أبدأ فقال كلاهما الصفع على القفا فبدأ بأيهما شئت (وقيل) لمنصور الفقيه

بزوجة بنج بنج * وقعت في جوف فنج فعن قريب ستندم * تشكو الى كل أخ (وقال آخر) لولا بناتي وسيااتي * لطرت شوقا الى مماتي

لاني في جوار قوم * لغصني قريهم حياتي

(وقال الاصمعي) رأيت اعرابيا وقد تعلق باستار الكعبة وهو يقول

ياربنا الواحد خير رب * يارب حسبي من بناتي حسبي

أفنين مالى وأكلن كسبي * ان زدتنى أخرى قطعت زبي
(قال) فقلت كم لك من البنات قال تسع والمرأة كانت حاملا (وقال) عمر
رضي الله عنه ووصف النساء ابنة عشر درة للناظرين . ابنة عشرين لذة للمعاقين
ابنة ثلاثين تميم وتلين . ابنة أربعين ذات بنات وبنين . ابنة خمسين عجوز في
الغابرين . (وفي الخبر) ان رجلا تزوج بامرأة سليطة فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فقال طلقها فلم يفعل فضربها يوما وقتلها خطأ فجاء أولياء المقتولة
وقتلوه ووقع التعصب بينهم حتى قتلوا خمسمائة رجل . (ونظر رجل) الى آخر
وهو مغتم فقال ما غمك قال عيالى كثير فقال لا تغم فهم عيالى الله فقال صدقت
ولكنى كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري . (ولما) نزل قوله تعالى
تبتغى مرضات أزواجك كان يدعو دائما اللهم اني أعوذ بك من قاطع يقطعني
عنك (وقيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أراد مفارقة الدنيا جمع أولاده
فقال اني موصيكم بوصيتي فاحفظوها لا تعلقوا القلوب بدون الله فاني علقت
قلبي بالجنة فأخرجوني منها ولا تعملوا بأراء النساء شيئا فاني عملت برأي امكم
حواء فندمت وكل عمل تضرب منه قلوبكم فلا تعملوه فاني لما أردت أكل
الشجرة اضطرب قلبي ولا تعملوا عملا حتى تشاوروا فيه فاني تركت المشاورة
مع الملائكة في أكل الشجرة فندمت . (وفي الخبر) مازاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم مهر نسائه على اثني عشرة أوقية . (وعن معاذ النسفي) قال من
تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتشريف البناء ورفع
النفقة وفوت الخدمة واذا أراد الطلاق تعذر عليه بذهاب المال معها والفقيرة
بضدها . (وقال يحيى بن معاذ) اخطب زوجة لا تسلبها عنك المنايا . واحرث بها
في دار لا يخرجها دوران البلايا . وشبك بها حجلة لا تحرقها نيران الرزايا (وقيل)
ان رجلا كان على سطح فقال لزوجته أسقط عنه نفسى فقالت لا فتذكر

قوله عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن فأسقط عنه نفسه فكسرت
رجله وكان له في بيت المال نفقة مقدرة فأتاه رسول يزيد في قتل الحسين
رضي الله عنه فأراه رجله المكسورة ثم قال لزوجه كم لله على من نعمة في
مخالفتك فلو خرجت لكان فيه غضب الله تعالى ولو تأخرت لكان فيه
غضب يزيد فالخيرة فيما يصنع الله تعالى (وقال بعضهم) قال لي سفيان تزوجت
قلت لا قال لا تدري ما أنت فيه من العافية . وقيل العافية الف جزء تسعة وتسعة
وتسمون جزءاً أن تنام وحدك (اتفق) ان صوفيا كان له مع الله تعالى وقت
حسن فاستعار ابرة من رجل فوهبها منه فأتخذ كنفاً وجعلها فيه مع الآلات
ثم لم يجد موضعاً يضعه فيه لما كانت تناله أيدي رفقائه فاكترى حجرة فلم
يجد من يكتسبها كل ساعة فتزوج بامرأة فوقع في محنة العيال والولد فكان اذا
قيل له في ذلك يقول أوله كانت ابرة وآخره كانت عبرة (وقيل) كان لقمان رضي
الله عنه يقول لابنه يا بني لا تأمن امرأة على سر ولا تطأ خادماً تريدها للخدمة
ولا تستسلف من مسكين استغنى . وقيل ايضاً ثلاث فرق يجب على الرجل
مداراتهم الملك والمريض والمرأة (وسمعت) بعضهم يقول خرجت طائفة الى
لوط عليه السلام وقد أصابهم حط يسألونه دعاء فلم يك لوط عليه السلام في
البيت فقالت امرأته لماذا جئتم قالوا جئنا الى لوط نستشفع به الى الله تعالى
فقالت خسرتم وأتعبتم أنفسكم فقال بعضهم لبعض هي أبصر بزوجها فقالوا لا بد
من أن نلقاه وطلبوه حتى وجدوه في بعض القرى يصالح أرضاً فذكروا له
القصة فاستقبل القبلة ورفع يديه فسقوا في الوقت فلما أرادوا الرجوع قالوا له
ان لك عند ربك هذا الجاه والقدر أفلا تسأله ان يريحك من زوجتك حتى
لا تذكرك بسوء فقال اني سألت الله تعالى ذلك فقال هذه فتنتك في الدنيا
فاصبر عليها (وقال الشافعي) رضي الله عنه ذل الدنيا سبعة أشياء عبور الجسر

بلا قطّ وحضور مجلس العلم بلا نسخة . ودخول الحمام بلا سطل . وطلب الشريف الحاجة من الوضع . وطلب الخواثج من الاندال . واستسلام الرجل في يدي أعدائه . وذل الرجل لامرأته بما في يدها . (وقال بزرجهر) ينبغي ان يكون سبعة أشياء دونك يعني تحت يدك الاهل والولد والخادم وأمتك ونفسك وهواك ونعمتك . وسبعة أشياء تكون فوقك أمك وأبوك ومملك وعلمك وسلطانك وعالم زمانك والرجل الصالح (شعر)

كم فتى قد حلفت زوجته * أنه ان مات مات حزنا
ثم لما مات عنها ومضى * أصبحت تبغي سواء سكنا
(وقال سفيان الثوري) رحمة الله عليه اذا تزوج الرجل ركب البحر . فاذا ولد انكسر . (وقيل) النساء أمهات المكر . وبنات النكر . واخوات السحر وعمات الخثر . وخالات الغدر . وصاحبات يوسف البدر . وصانعات الفلول وفاتنات العقول . وراصبات الفحول . وساحبات الزيول . على فتنة الشباب والكهول

﴿ فصل ﴾ قيل كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى أبي موسى الاشعري رضي الله عنه مرذوي القرايات ان يتزاوروا ولا يتجاوروا (وقيل) العداوة في القرابة كالنار في الغابة . (ولبعضهم)

من الناس من يسقى الأبعد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه
فان يك خيراً فالبعيد يناله * وان يك شراً فابن عمك صاحبه
(وقال آخر) فان الذي بيني وبين بني أبي * وبين بني عمي لمختلف جدا
فان يأكلوا لحمي وفرت لحومهم * وان يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هودوا غيبي هودت لهم رشدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقد

لهم جل مالى ان تتابع لي غنى * وان قل مالى لا أكفهم رفدا

— الباب العاشر —

(ومن محبتها مخالطة المخالف والحاسد. وصحبة الضد منهم والمعاد)

(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لا وليائي فيقوم قوم ليس على
وجوههم لحم فيقال هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم العداوة وعاندوهم
في دينهم قال فينادي مناد من وراء العرش احشروا الذين ظلموا وأزواجهم
قال فيسحبون الى النار على وجوههم (وقال) صلى الله عليه وسلم لما عرج بي
الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في
أعراضهم (وأوحى) الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام الحاسد عدو
نعمتي مسخط لقضائي غير راض لقسمتي الحاسد اذا رأى نعمة بهت. واذا رأى
عثرة شمت. والتحاسد. يبطل التراشد. والحسد يذوي الجسد. ويديم الكمد
والحسد أول ذنب عصي به في الارض واذا أردت السلامة ممن يحسدك
فمعه عليه أمورك. ورب محسود على رخاء وهو بلاؤه. ورب مغبوط بنعمة هي
داؤه. ورب مرحوم في سقم هو شفاؤه. ومن آذى جاره. أورثه الله داره (وكان)
مكتوباً على سيف الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما الرزق مقسوم. والحريص
محروم. والبخيل مذموم. والحاسد مغموم (وقال محمد بن سيرين) رحمة الله عليه
ما حسدت أحدا قط لانه لا يخلو من حالين إما ان يكون مؤمناً من أهل الجنة
فإنه تعالى يعطيه في الجنة أكثر مما في يده فكيف أحسده وإما ان يكون
كافراً من أهل النار فكيف أحسده بشيء قليل في يده ولا معنى للحسد اذا

وصل في معاداة المعاند (٣) قال عبد الله بن الحسين اياك ومعاداة الرجال فانك
لا تأمن مكر حليم . أو معاداة لئيم . (قال بعض الحكماء) من عادى الرجال .
لاقى الويال . والكريم اذا ظهر شهد لفضله كل مخالف ومؤلف . واذا غاب
عائده كل قرين عارف (وأنشد بعضهم)

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنا * ولا أكله صفحا وإهوانا

وهكذا كنت في أهلى وفي وطنى * ان النفس عزيز حيثما كانا

(وسئل) بعض المشايخ عن قولهم الموت الاحمر فقال هو أن يرافقتك من
لا يوافقك ولا يفارقك . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه انا لنضحك في وجوه
أقوام وان قلوبنا تلغهم (وكان الشبلي) رحمه الله تعالى يقول كثيرا
أقلب طرفي لأرى من أحبه * وفي الدار ممن لأحب كثير

الباب الحادى عشر

(ومن فتنها فساد الامراء وجور الظالم . وحيرة القراء وفتنة العالم)

(قال) النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اشتد غضبي على من ظلم من
لم يجده ناصرًا غيري . وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فانما هو ظلمة يوم القيامة
(وفي الخبر) فان الظلم ظلمات يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من أعان ظالما على
ظلمه أزل الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن غش امرأ في حيلته حكمه الله في
حسنه يوم القيامة ومن اعتقدلوا أو اعتق مالا (١) أو كتم علما أو أعان ظالما
وهو يعلم انه ظالم فقد برىء من الاسلام (وقال) صلى الله عليه وسلم في خطبة من

(١) قوله ومن اعتقدلوا . هكذا في الاصل وبعده بياض ولعل المراد أنه اعتقد
معنى لفظ لو التي يكثر قولها من يفوته حظ ونحوه . وقوله أو اعتق مالا . لعله
اعتصم مالا اهـ

عرضت له دنيا وآخرة فاخذ الآخرة وترك الدنيا فله الجنة ومن أخذ الدنيا وترك الآخرة فله النار ومن تولى خصومة ظالم اذا كان عليماً نزل به ملك الموت يقول له أبشر بلعنة الله ونار جهنم ومن خف لسلطان جائر في حاجته كان قرينه في النار ومن سلط سلطاناً على جور قرنه الله مع هامان في نار جهنم وكان هو والسلطان الجائر في نار جهنم من أشد الناس عذاباً ومن أعظم صاحب دنيا ومدحه بطعم دنيا يرجوها سخط الله عليه ومن بنى بناً رياءً وسمعة حمله يوم القيامة الى الارض السابعة ثم يطوق به في عنقه ثم يرمي به في النار (وقال النبي) صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل بعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي لا يجاورني ظالم ولو بلطمة (وقال) عليه الصلاة والسلام لابي هريرة رضي الله عنه يا أبا هريرة جور ساعة في حكم أعظم عند الله من معاصي ستين سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أدى حق الله ونصح لمواليه وعفيف متعفف وأما أول ثلاثة يدخلون النار فذو ثروة من مال لا يعطى منه حق الله وفقير خفور وأمير جائر (ومر بعضهم) على دار وزير وقد خربت فكتب عليها هذه دار من ظلم وتعدى على الامم ودفى القبر انه لم يكن يعرف القلم (وقيل) أول مظاهر من الظلم في امة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم تنح عن الطريق (وأنشدت) لمحمود الوراق

كنا نفر من الولا * ة الجائرين الى القضاة

فاليوم نحن نفر من * جور القضاة الى الولاة

(وقيل لبعضهم) كيف انت مع ظلم الامراء وكثرة خراجك فانثأ يقول

قد كانت الضيعة فيما مضى * تظل من يملكها دائبه

فصار من يملكها يومنا * مهجته في همها ذائبه

تستغرق الغلة في خرجها * وتفضل الكفارة والنائب

(وقيل) ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على غلام له يعلف ناقة
فراى في علقها ما كره فاخذ بأذن الغلام فعرکہا ثم ندم وقال له خذ باذني
فاعرکہا فابى الغلام فلم يدعه حتى أخذ باذنه وجعل يقول شدّ شدّ حتى بلغ
منه مثل ما بلغ ثم قال واهواها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة (وقيل)
توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجداً شديداً فشكوا ذلك الى عيسى
صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره فدعا فاحياه الله تعالى وفي رجليه نعلان
من نار فسأله عيسى عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال والله ما عصيت
قط الا اني مررت بمظلوم فلم انصره فأملت بهذين النعلين (وأنشدوا)

يا غاصب الضيعة من نسوة * يحوزها قهراً كسلطانه
يجأرن بالليل الى خالق * اغاثة الملهوف من شأنه
لا ينصب الضيعة ذو ضيعة * يريد أن تبقى لصبيان

(وعن علي) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله غافر كل ذنب الا مهر امرأة ومن اغتصب أجيراً أو رجلاً باع حراً
(وعن جابر رضي الله عنه) قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا كعب
بن عجرة اعيذك بالله من إمارة السفهاء قال وه اذاك يا رسول الله قال أمراء
سيكونون بعدي من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم
فأولئك مني وانا منهم أولئك يردون على الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة
قربان والصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفى الماء النار يا كعب بن
عجرة لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولي به يا كعب بن عجرة
الناس غاديان فغاد بأع نفسه وموبق رقبته

﴿ فصل ﴾ قيل حجب بعض الظرفاء عن بعض اخوانه فكتب اليه

قل لمن يحبني * أيها المحبوب غني هذه منك فان عدت الى الباب فني
(وسمعت بعضهم) يقول وقد حجب عن باب متمثلاً

ان الفراغ الى سلامك قادني * ولربما طلب الفضول الفارغ
مالي بحمد الله عندك حاجة * وعلى من نعم الآله سوابغ
ان كنت تهت بحالة قد نلتها * فالكاب في العسل المصفي والغ
(وقال) آخر حجب أعراي عن باب أبي دلف فكتب اليه
اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم
فأمر له بالف درهم وكتب اليه في الجواب

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلق بالحجاب
(آخر) أأحضر باب إبراهيم جهلاً * بما فيه وأرشو الحاجبين
فأخرج ان خرجت بغير شيء * وأدخل ان دخلت بدرهمين
(وقال آخر)

قل للذي يحجب الاحرار ان حضروا * اذكر حجابك في يوم له شان
اذ دارك القبر والبواب لبنته * وفرشك الرمل والخدام ديدان
(وعن صالح المري) رحمه الله تعالى أن الحجاج أخذ رجلاً وأمر بحبسه
وكتب فيه الى عبد الملك بن مروان وأمر السجان أن يقيده بسبعة قيود
فجاء السجان من الغد فقال أصلح الله الأمير الأمان والافهذه رقبتني قال
ماوراءك قال الذي قيده وحبسته لم يصبح في السجن فقال ويلك فهل رأيت
نقباً أو أثراً أو فتحاً قال لا قال فهل سمعته يقول شيئاً قال كلما قيده بقيد
وسمرته بسمار رفع رأسه الى السماء وقال (ألا له الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين) قال فلا عليك بأس فان صاحب الامر أخذ بيده أو كما قال
وكان سجن بجنب جامع فكان بعض الحكماء يقول الجامع دار المذنبين

والسجن دار البرئين قيل كيف قال في الجامع من اذا سألتهم يقولون نستغفر
الله من ذنوبنا ومن سألته في السجن بم حبست يقول لا ذنب لي
ما ادخل السجن انسان فتسأله * ما بال سجنك الا قال مظلوم
(وكتب) واحد الى محمد بن أسلم في السجن يعزيه عن مكانه فاجابه اني
رأيت بيتاً سقطت عنى فيه فروض وحقوق منها الجمعة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وعيادة المريض وقضاء حقوق الاخوان وما نزلت بيتاً
في ديني خيراً منه فأخبر عبد الله بن طاهر بذلك فقال نحن في حاجة الى ابن
سلم أطلقوه (وللبحتري)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك * من الحادث المشكور والنازل المشكي
وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رجب ومن منزل ضنك
وان هذبتك الحادثات فانما * صفا الذهب الابرز قبلك بالسبك
أما في رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوساً على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * قال به الصبر الجميل الى الملك
ألا انه قد ضيم في حبسك الملا * وأصبح عز الدين في قبضة الشرك
(ولا آخر)

غير الليالي باديات عود * والمال عارية يعاد وينفد
لا يؤيسنك من تفرج كربة * غضب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردي * فنجأ ومات طيبه والمود
صبراً فان اليوم يتبعه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد
(ورأيت) محبوساً ينشد

ان المصائب قد تخطت دونه * نعماً وان صعبت عليه قليلا
والله ليس بغافل عن أمره * وكفى بربك ناصراً وكفيلاً
(هـ - الخزرن)

﴿ فصل ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم ومخالطة السلطان فانه ذهاب الدين واياكم ومعرفة فانكم لا تحمدون أمره (وقال) فضيل كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن . وقال عليه الصلاة والسلام ما ازداد الرجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثرت ماله الا اشتد حسابه (وقيل) من تحصى مرقعة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين . قال سفيان الثوري ان تجار القراء اتخذوا سلما الى الدنيا فقالوا انادخل على الامراء نفرج عن المكروب ونتكلم عن المحبوس (وقيل) اجتمع صالح المري وأيوب السختياني الى الحسن البصري فقال لهم الحسن ليتكلم كل واحد منكما قبل الافتراق ف قيل له أنت تتكلم أولا فقال الحسن لو كان لي علم هذه الامة ماجلست عند صاحب هوى مخافة أن يفسد كلامه وحلاوة منطقه قلبي وقال صالح لو كان لي أمر جميع هذه الامة لم آمن على نفسي أن أقع فيما لا يرضى ربي وقال أيوب لو كان لي صدق جميع هذه الامة لم آت باب السلطان مخافة أن اتكلم بهوى فيفسد ديني

﴿ فصل ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا وصلة لاخيه المسلم الى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسر أعانه الله على اجازة الصراط عند حوض الاقدام (وقيل) انه رؤي لقمان رضي الله عنه يعدو خلف يختنصر فرسخا ف قيل له يا ولي الله تعدو خلف هذا الكافر قال لعل أستأذنه في مؤمن فيجيبني فيه (وسمعت) بعضهم يقول كان دانيال عليه السلام يمشي تحت ركاب الملك سبعة أميال ف قيل له تمشي تحت ركابه وأنت نبي قال اني اصنع ذلك رجاء ان اكلمه بكلام يدفع به عن الناس وينفعهم (ولبعضهم) اذا حلت بنيسابور في شغل * فاحلل وحبلك موصول بسلطان فلا يكن نسب يغني ولا ادب * يجدي ولا احد يرعي لانسان

(وقيل) ان بعض العلماء دخل على بعض الامراء فقال له الامير لم لا
تجيشني وتكثر عندي المقام قال اني اخاف ان قربتي فتنتني وان اقصيتني
أحزنتني وليس في يدك ما أريده ولا في يدي ما أخافك عليه وانما اتاك من اتاك
ليستغني بك عن سواك وقد استغنيت عنك بمن أغناك (وقال) النبي صلى الله
عليه وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله عز وجل فانها نعمة من الله عز وجل
سيقت اليه فان قابها بشكر والا كانت حجة من الله عز وجل عليه ليزداد به
اثما ويزداد من الله سخطا . وهذا الخبر ذكره الاوزاعي حين دخل على ابي
جعفر المنصور فلما جلس عنده حدثه بهذا الحديث ثم قال يا امير المؤمنين ايما
وال بات غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة يا امير المؤمنين حدثني مكحول
عن عروة بن الزبير عن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت كانت في يدرسول الله
صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملأت
قلوبهم رعبا . فكيف من تشق ابشارهم وتسفك دماءهم وتخرب ديارهم وتجليهم
عن بلادهم يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى التخاصص
من نفسه وهذا معروف حين خدش اعرابا فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام
فقال يا محمد ان الله لم يجعلك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
الاعرابي والخبر معروف يا امير المؤمنين لو ان الملك بقى لمن قبلك لم يصل
اليك فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التسم والكبيرة الضحك
فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المؤمنين بلغني ان امير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات
ضبعة خلفت ان أسئل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك أتدري

ماجاء في تأويل هذه الآية (يادادود انا جعلناك خليفة في الارض) يادادود
 أقصد الخصمين بين يديك وان كان في احدهما هوى فلا تمنين في نفسك ان
 يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي اني
 انما جعلت رسلي على عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة
 ليجبروا الكسير ويدلوا على الماء والكلاء. يا امير المؤمنين انك تلبست بامر لو
 عرض على السموات والارض والجلال لايين ان يحمله وأشفقن منه يا امير
 المؤمنين حدثني زيد بن جابر عن عبد الرحمن بن ابي عمرو الانصاري (أن عمر بن
 الخطاب) رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقبلا
 فقال ما منعك من الخروج الى عملك أما علمت ان لك أجر المجاهدين في سبيل
 الله قال لانه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن وال يلي شيئا
 من امور المسلمين الا أتى يوم القيامة فوقف على جسر جهنم في النار ينتفض
 منه ذلك الجسر انتفاضه تزيل عضوا (٢) منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب
 فان كان محسنا جاز باحسانه وان كان مسيئا اتخرق به ذلك الجسر فهوى به
 في النار سبعين خريفا قال له ممن سمعت هذا قال من أبي ذر وسلمان رضي
 الله عنهما فارسل اليهما عمر رضي الله عنه فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه فن تولاهما بما فيها قال ابو ذر من سلب الله
 أنفه (٣) وألصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على عينيه واتحب حتى
 أبكاني . ثم قال يا امير المؤمنين سأل عم النبي صلى الله عليه وسلم اماراة على
 مكة والطائف واليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عم النبي نفس تتجها خير
 من اماراة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وانه لا يملك من الله شيئا
 * ولما أوحى الله تعالى اليه وأنذر عشيرتك الاقربين قال يا عباس عم رسول الله
 يا صفية عمة النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيئا ألا

لي عملي ولكم عملكم

(شعر)

أفريت عمرك باغترارك * ومنالك فيه وانتظارك
ونسيت مالا بد منه وكان أولى بادّكارك
وان اعتبرت بما ترى * فكفاك علماً باختبارك
لك ساعة تأتيك من * ساعات ليك أو نهارك
بادر بمجدك قبل أن * تقضي وتنزع من قرارك

(قال مقاتل بن سليمان) دخلت على حماد بن سلمة فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس وفي يده مصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فيينا أنا جالس اذ دق الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هذا فقالت رسول محمد بن سليمان الى حماد بن سلمة فأذن له فدخل فقال أما بعد فصبحك الله بما أصبح به أوليائه وأهل طاعته وقعت مسئلة فأتنا نسالك عنها والسلام فقال يا صبية هلم الدواة ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب أما بعد فانت صبحك الله بما أصبح به أوليائه وأهل طاعته انا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فان وقعت لك مسئلة فأتنا وسل مبادلك وان أتيتي فلا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح الا نفسي والسلام فيينا أنا جالس اذ دق الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هذا قالت محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحدد فدخل وجلس بين يديه ثم ابتداء فقال مالي اذا نظرت اليك امتلات منك رعباً قال حماد حدثني ثابت البناني قال سمعت أنسا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء واذا أراد ان يكتهم (٣) الكنوز هاب من كل شيء فقال ما تقول رحماك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى فأراد ان يجعل له في حياته ثلثي ماله

فقال لا يفعل رحمك الله فاني سمعت انسا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اراد الله ان يعذب عبدا من عباده في حياته وفقه لوصية جائرة قال فرض عليه مالا فلم يقبله حماده قال أبو الحسن كتب عني هذا الحديث احمد بن حنبل رحمه الله عليهما (وأخبرنا) عبد الملك بن محمد بإسناده عن محمود الوراق قال دخلت على أصوم بن أسود فقال يا محمود اني عزمتم على الحج فقلت عزم الله لك على الرشيد ثم سررت على بابه بعد ثلاث فاذا الدواب والمراكب فاستاذنت عليه فأذن لي فقلت اصالح الله الامير ما الذي نقض عزمك قال خفت ان أموت فيدفنتي الغلمان ويصلي على الاعراب فأطرقت متفكرا فقال لي فيم أنت متفكرا أقسمت عليك لتخبرني قال فأنشدته فن كتبت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

فقال والله لأقت ببنفداد ساعة وخرج. وعن عبد الله الواجد قال طلب الحجاج الحسن فلم يظفر به فتركه حتى اطمأن ثم أخذ فبعث اليه قال الحسن فدخلت عليه فقال لي يا حسن ما الذي يابغنا عنك قال وما يابغ الامير أصاحه الله قال انك قلت اتخذ مال الله دولا وعباد الله خولا ودمن الله دغلا قال قد قلت ذلك اصالح الله الامير قال وما يجرتك على السلطان قلت العمود الذي أخذ الله على العلماء قال وماذا عهد اليهم قال قلت واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيئنه للناس ولا يكتونه قال أما علمت ان السلطان ظل الله في الارض فمن نصهم هدى ومن غشهم غوى فقلت اذا كان عدلا فقال الحجاج كذبت ليس فيه اذا كان عدلا فقال الحسن ما زدت فيه حرفا ولا نقصت قال فما زال يكلمني حتى قال للجارية هاتي الغالية فجاءت فغلقت رأسي ولحيتي ثم قال يا حسن انظر أنت لا يلبغنا منك بعد هذا اليوم الاخير فنعم المؤدب أنت

﴿ فصل في الامراء العادلين ﴾ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثلاث لا ترد دعواتهم الامام العادل ودعوة الصائم حين يفطر ودعوة المظلوم
 يرفعها الله فوق الغمام الى يوم القيامة يفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي
 وجلالي لانصرنك ولو بعد حين . وعن أبي رجاء العطاردي قال سمعت أبا
 بكر الصديق رضي الله عنه وهو على المنبر يقول سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول الوالي العادل المتواضع ظل الله وريحه فمن نصحه في نفسه
 وفي عباده حشره الله في وفده يوم لا ظل الا ظله قال ويرفع للوالي العادل
 المتواضع في كل يوم ليلة عمل ستين صديقا كلهم عالم وعابد مجتهد في نفسه
 . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ان من حق جلال الله عز وجل اكرام ذي الشيبة المسلم ورعاية القرآن
 لمن استرعاه الله عز وجل اياه وطاعة الامام المقسط (وعن أنس) بن مالك
 رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله عز وجل
 في الارض فمن أطاعهم ونصحهم ودعاهم اهتدى ومن خالفهم وغشهم ودعا
 عليهم ضل (وعن) حميد عن أنس رضي الله عنه قال يقول الله عز وجل انا الملك
 قلوب الملوك بيدي فأبي قوم أطاعوني جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة وأبي
 قوم عصوني جعلت قلوب الملوك عليهم نقمة فتوبوا الي أعطف قلوبهم عليكم
 (قال) وكان مكتوبا على سرير أنوشروان أربعة أسطر الاول لا يكون الملك
 الا بالرجال ولا تكون الرجال الا بالاموال ولا تكون الاموال الا بالعمارة ولا
 تكون العمارة الا بالعدل . (وقال) فضيل رحمه الله لو كانت لي عند الله دعوة
 مستجابة لصيرتها للسلطان فان دعوتي لنفسي لا تنفع غيري واذا كانت له
 انتعش العباد والبلاد بعدله (ويقال) رفع لكسرى ان صاحبه بالاهواز قد
 أخذ الخراج حتى وصل عشرة آلاف ألف وانها في بيت المال فوقع برد المال

باسره وقال ان الملك اذا أكثر بيوتا مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطحه مما يقتلع من قواعد بنيانه (وقال) مالك بن دينار رحمه الله تعالى لماولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قالت الرعاة قى رؤس الجبال من هذا الخليفة الصالح الذي قام على الناس قيل وما علمكم بذلك قالوا اذا قام على الناس خليفة صالح كفت الاسد والذئاب عن شائنا (وعن عمر) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السلطان ظل الرحمن في الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت المواشى واذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة واذا احترمت الذمة اذل الكفار (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام والسلطان اخوان توءمان لا يصلح واحد منهما الا بصاحبه والاسلام امن والسلطان حارس ومالا أمن له مهندم ومالا حارس له ضائع

❦ فصل في حيرة القراء ❦

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة قيل ومن يدخله يا رسول الله قال أعد لقراء الناس (٣) بأعمالهم وان من أبغض القراء الى الله عز وجل الذين يوازرون الامراء بمجورهم . وقال سفيان الثوري اذا قيل غداً أين القراء الفسقة فاخشى ان يقال هذا سفيان الثوري . وقال ايضا اذا كانت سنة مائتين فاجتنبوا الناس وسلوا ربكم العافية من امور تحدث في قرائكم وقال ابن ابي الرواد كان زناة اهل الجاهلية اشد حياء من قراء اهل زماننا .

(٣) كذا بالاصل ولعله أعد لقراء القرآن المرائين بأعمالهم وحرر

وقال سري السقطي اياكم وحيران الاغنياء وقراء الاسواق وعلماء الامراء .
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في
آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة .

﴿ فصل في فتنه العلماء من هذا الباب ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه
الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طعاما ولم يشتري به ثمنا فذلك الذي يصلي
عليه طير السماء وحياتان البحر ودواب الارض حتى يقدم على الله سبحانه
يوم القيمة سيدا شريفا متى (٣) وافق المسلمين ورجل آتاه الله علما ففطن به على
عباده وأخذ عليه طعاما يعذب حتى يفرغ الله من حساب الناس (وعن)
الاصمعي قال وجد في التوراة مكتوبا كل عالم ليس معه تقوى الله فهو واللص
سواء وكل غني ليس له راحة البدن فهو والاجير سواء وكل حر ليس له عقل
فهو والعبد سواء وأنشد

كل البلاد عدوها سفهاؤها * وبلادنا أعداؤها فقهاؤها
كتبوا الحديث فصروه تجارة * فهم الولاة بها وهم أمراؤها
كيف احتيالي في طلاب ظلامتي * والخصم مردود اليه قضاؤها

(قال سفيان) عن الشعبي قال يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من
أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار فما دخلنا الجنة الا بتعليمكم وتأديبكم
فيقولون انا كنا نعلمكم ولا نأتيه (وعن مالك بن دينار) قال سألت الحسن ما
عقوبة العالم قال موت القلب قلت وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة
وقيل لكعب ما يذهب العلم من صدور العلماء بعد ان حفظوه ووعده قال الطمع
والشره وكثرة الحوائج . وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أفتى الناس بغير علم لعنته الملائكة في السماء والارض

(وقيل) كان رجل يخدم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ويتعلم منه قال فاستأذنه أن يرجع الى قريته ثم يعود اليه فأذنه فانطلق فجعل يقول حدثني موسى كليم الله بكذا وكذا حتى كثر ماله قال فبينما موسى عليه الصلاة والسلام قاعد اذ مر رجل يقود جروا في عنقه والجرو الارنب الذكر (٣) فقال يا عبد الله من أين أقبات قال من قرية كذا وكذا قال أفتعرف فلانا قال نعم هو الذي في يدي قال يارب رده الى حاله حتى أسأله فيم صنعت به فأوحى الله اليه انه لو سأني آدم ومن دونه من النبيين حتى يبلغ محمد صلى الله عليه وسلم لم أردده الى حاله ولكن انما صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين (وقيل) من طالب هذا العلم لله فليقل ومن طلبه للناس فليكثر فان موتهم شديد (٤) (وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى بي أتيت على قوم تقرض شئناهم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون ويتلون كتاب الله ولا يعملون (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال ستة يدخلون النار بستة الامراء مجورهم والعلماء بحسدهم والعرب بعصيتهم والدهاقين وأهل السوق بخيانتهم. وقال يحيى بن معاذ واسوأنا من فضيحة العلماء يوم القيامة من طلبهم الرياسة في دار الدنيا حب الرياسة في الدنيا ميدان ابليس ينزل فيه جنوده وحب الرياسة من الزهاد يأكل زهدهم ومن العلماء يأكل علمهم ومن العباد يأكل عبادتهم. وكان (الجنيد) رحمه الله تعالى يقول ويل للقائلين بالحق العاملين بالباطل كيف خالفت أفعالهم أقوالهم ادعوا في دار الدنيا منازل المحسنين فنزلوا في الآخرة منازل المجرمين (وقال ابن

(١) قوله ستة يدخلون الخ هكذا في الاصل بذكر خمسة أنواع ولعل النوع السادس

سقط من قلم الناسخ مع سبب دخول الدهاقين النار اه .

الملك) يوماً وقد أعجبت نفسه السن تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم العالم يحب الاغنياء فاعلموا أنه صاحب الدنيا وإذا رأيتموه يطوف بأبواب السلطان فاعلموا انه لص. (وقيل) ان في جهنم واديا تتعوذ منه كل يوم سبع مرات وان في الوادي لجبا يتعوذ منه الرادي وجهنم كل يوم سبع مرات وان في الجب حلية يتعوذ منها الجب والوادي وجهنم كل يوم سبع مرات يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون أي رب لم بدئ بنا قبل عبدة الاوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم (وعن منصور بن زياد) قال نبئت ان رجلاً يلقي في النار فيتأذى أهل النار بريحه فيقال ويحك ما كنت تعمل أما يكفي ما نحن فيه حتى ابتلينا بك وبنتن ربحك فيقول كنت عالماً فلم أشتع بعلمي (وقال عيسى عليه الصلاة والسلام) ما يغني عن البيت المظلم ان يكون السراج على ظهره وماذا يغني عنكم ان تكلموا بالحكمة ولا تعملوا بها الى متى تصفون الطريق للمدجلين وأنتم مقيمون مع المتحيرين. وقال يحيى بن معاذ ان العالم اذا لم يكن زاهدا فهو عقوبة لاهل زمانه (وقال) عيسى عليه السلام يا علماء السوء كيف ينفعكم قولي والحكمة تخرج من أفواهكم وبينها وبين آذانكم أربع أصابع ثم لا تدخل فيها. (وقال بعضهم) رأيت بعض القصاص في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فقال هات ما كنت قدمته ليومك هذا فقلت يارب ما قدمت لنفسي شيئاً غير اني كنت ادعو الخلق اليك قال فهل لا تركت عبادي معي واقبلت أنت علي (وابعض) المذكورين قال أسوأ الناس حالاً عالم اجتمع فيه ثلاث خصال يذم الدنيا ويطلبها ويحمد الآخرة ويتركها ويدعو الى الله ويفر منه (وقال) عمر رضي الله عنه اتقوا المنافق العليم قالوا ومن المنافق العليم قال الذي يتكلم بالعلم ويعمل بالنفاق

{ ولبعضهم }

يا أخا النجوة فزت بالنجو لكن * لست تهدي بالنجو نحو القلوب
أنت تبغى صرف الكلام بجهد * والذي أبتغيه صرف الذنوب
وتراعي العيوب في عرض لفظ * ثم ترضى بعرضك الميوب
وقال مالك بن دينار يكون في آخر الزمان ريح وظلمة فيفزع الناس إلى
علمائهم فيجدونهم قد مسخوا . (وعن) زيد بن أسلم عن أبيه قال دخلت
على عمر رضي الله عنه وهو يبكي فقلت له ما يبكيك يا أمير المؤمنين قال اني
ذكرت قوما من هذه الامة يكونون في آخر الزمان يسمون بالعلماء ويتشبهون
بالعلماء وقد وعوا ما قالت الانبياء لعائنين عيايين ضحاكين مداحين لا الله
يخشون ولا الناس يستحيون هم وأشياعهم أول خلق الله يسد بهم أركان
جهنم فيوضعون في أسفل الدرك من النار فينادون واصلاتاه واصياماه واحججاه
فلا يرحمون ثم قال قم عني فقمتم عنه وانه ليبيكي وانا أبكي . وقال الشعبي لو علمت
ما في العلم ما تعلمت العلم (وروي) ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله أي شيء شر فسكت عنه ثم عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من الشر شرار العلماء

﴿فصل في فضل العلماء﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيامة يوئى امام العرش بمنابر من نور ثم يقال أين الانبياء والعلماء فيجلسون
على المنابر فيحكم الله بين الخلائق ثم يقال للانبياء والعلماء كيف رأيتم حكمي
فيقولون حكمت فعدلت وأنت خير الحاكمين فما أعطاهم منزلة أجل من
هذه المنزلة قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)
قال وهي الدرجات التي يعطونها (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال خيار أمتي علماؤها
وخيار علماؤها رجاؤها الا وان الله يغفر للعالم أربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا

واحداً (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز لاحد ان يقبل يد أحد الا يد رجل من أهل بيتي أو يد عالم (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال جلوس ساعة عند عالم أحب الى الله من عبادة الف سنة لا يعصى الله فيها طرفة عين والنظر الى العلماء أحب الى الله من سبعين طوافاً حول البيت ويشهد عليه ذلك البيت عند الله استماعك العلم خير لك وأفضل من سبعين حجة مقبولة ويكتب لك مادمت جالسا عند صاحب العلم سبعون حجة وعمرة وتنزل عليك الرحمة (وعنه) صلى الله عليه وسلم مجلس عالم خير من قراءة القرآن الف الف مرة وخير من الف الف جمعة تشهدها محتسبا وهل تقدر ان تقيم جميع أفعال البر وتطيع ربك الا بالعلم ان الطاعة كلها بالعلم في حديث طويل (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وحشر الخلائق لفصل القضاء نصبت تحت العرش كراسي من النور ثم نادى مناد من قبل الله تعالى أين العلماء ورثة الانبياء فيقوم خالق من خلائق الله تعالى لا يعلم عددهم الا الله عز وجل حتى يقوموا بين يدي الله تعالى فمن كان علمه وعمله لله أجلس على كرسي من تلك الكراسي ويوضع على رأسه تاج الكرامة ويقال له اشفع في تلاميذك ولو بلغ عددهم نجوم السماء فقد شفعت فيهم ومن كان علمه للدنيا فقد نال حظه منها ولا حظ له في الآخرة ويؤمر به الى النار (وعنه) صلى الله عليه وسلم من تعلم مسألة واحدة قلده الله يوم القيامة الف قلادة من نور وغفر له الف الف ذنب وبني له مدينة من ذهب وكتب له بكل شعرة على جسده حجة وعمرة (وقيل) العلماء أعلام الاسلام . وسكان دار السلام . وقديماً كان العالم موقراً . والجاهل محقراً . والعلم وسيلة الى كل فضيلة . وذريعة الى كل شريعة . (وقيل) لعبد الله بن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون بدينهم . (وقيل) لا يدرك العلم الا بلسان سؤال .

وقلب عقول . وكف بذول . ولو سكت من لا عقل له لم يكن بين العلماء خلاف . (وقيل) عصابة أهل العلم هم الأكثرون وإن قلوا ومن خاضوا في العلم هم الأكثرون وإن قلوا ومحل الانس حيث حلوا (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال من خاض في العلم يوم الجمعة فكأنما أعتق سبعين ألف رقبة وكأنما تصدق بالف ألف دينار وكأنما حج أربعين حجة وعمرة وهو في رضوان الله وغنوه ومغفرته (وعن أبي امامة) رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل قتال يارسول اخبرني بأحب العباد الى الله تعالى بعد النبيين والمرسلين فقال عليه الصلاة والسلام ليس من امتي احد احب الى الله من العلماء والمعلمين لأنهم هم الذين يحيون سنتي من بعدي . اولئك يأتون يوم القيامة فرحين مستبشرين تستقبلهم اعمالهم كأحسن ما خلق الله وجهاً واطيبهم ريحاً يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ليس عليهم حساب وهم الآمنون من عذاب الله المقربون الى افضل الثواب (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال من زار العلماء فكأنما زارني ومن صافح العلماء فكأنما صافحتني . ومن جالس العلماء فكأنما جالسي ومن جالسي في الدنيا اجلسه الله ربي معي في الجنة (قال بزرجمهر) ليت شعري اي شيء أدرك من فاته العلم وای شيء فات من أدرك العلم (وقيل لاسكندر) ما بال تعظيمك لمؤدبك اشد من تعظيمك لايبك قال لان ابي سبب حياتي القانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية (وعن) النبي صلى الله عليه وسلم ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما

﴿ فصل في موت العلماء ﴾ (قال) صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتي الارض لنقصها من اطرافها) قال ذهاب العلماء . وقال (عليه الصلاة والسلام) مثل العالم الذي في البلد كعين يروي منها اناس وينكل

منها اناس فينما هم كذلك اذ غارت العين واحتاج الذين نكلوا الى الذين رووا
(وعنه) صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من
الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء فينقص العلم حتى اذا لم يترك عالماً اتخذ
الناس رؤساء جهالاً فافتوا بغير علم فضلوا واطلوا (ولبعضهم)

الارض تحيا اذا ما عاش عالمها * متى يميت عالم منها يميت طرف
كالارض تحيا اذا ما التبت حل بها * فان أبي عاد في اكنافها التلف

الباب الثاني عشر

(ومن فتها ظهور آثار القيامة وأحكامها • وعجائب أسرار الساعة وأعلامها)
{سؤال عن اشراط الساعة} عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ رأيتم الناس قد ضيعوا الحق وأماتوا الصلاة وأكثروا القذف
واستحلوا الكذب واخذوا الرشوة وشيدوا البنيان وعظموا ارباب الاموال
واستعملوا السفهاء واستحلوا الدماء وصار الكذب عندهم خريفاً والعلم عندهم
ضعيفاً والظلم نفراً والمساجد طرقاً وكثرت الشرط وحليت المصاحف
وطولت المنازل وخربت القلوب من الدين وشربت الخمر وكثر الطلاق
وموت الفجاءة وفشا الفجور وقول البهتان وحلقوا بغير الله وأئمن
الخائن وخان الامين ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب فعندها
قيام الساعة (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا فعلت امتي خمس عشرة (٣)
خصلة حل بها البلاء قيل وما هن يا رسول الله قال اذا كان المغنم دولا
والامانة مغنماً والزكاة مغرمًا واطاع الرجل زوجته وعق امه وبر صديقه
وجنم أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وشربت الخمر ولبس الحرير
واتخذت القينات وضربوا بالمعازف وشربوا من آنية الذهب والفضة ولعن

آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفاً ومسحاً وقال يأتي على الناس زمان يقال للرجل ما أصدقه وما أعتقه وما في قلبه من الايمان وزن ذرة (وقال) صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادباراً ولا الناس الا شحاً ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى عليه السلام وقال يأتي على الناس زمان آلمتهم بطونهم وشرفهم متاعهم وفتنتهم نساؤهم ودينهم دراهمهم ودنانيرهم أولئك هم شر الخلق لا خلاق لهم عند الله قال ويكون أمراء خونة ووزراء فسقة يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع ان يغيره ويصدق الكاذب ويكذب الصادق وتكثف النساء بالنساء فعليهم من أمتي لعنة الله عندها يأتي على أمتي قوم جثهم جثة الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ان تكلموا اقبلوا^(١) وان سكتوا استباحوا لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء ويهيا كاتيهياً المرأة عندها تليهم الجبارة يمنعون حقوقهم ويملؤون قلوبهم رعباً فلا ترى الا خائفاً مرعوباً عند ذلك يرفع الحج فلا حج يحج كبار الناس للهوى وأواسط الناس للتجارة وفقراء الناس للمسئلة وقرءاء الناس للرياء والسمعة قال ويكون شر من هذا ثم ذكر حديث الدجال وفيه حديث طويل آخر (عن عيسى بن مريم) عليه الصلاة والسلام انه ذم الدنيا وقال انها قاتلة وكذلك تقتل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال^(٢) يتبرأ الوالد من ولده والولد من والده والاخ من أخيه والجار من جاره كل انسان يجر الى نفسه فقال حذيفة^(٣) ومن

(١) كذا بالاصل وليس معناه وانحوا فليحرقوا

(٣) قوله فقال حذيفة ومن شرائط ذلك الزمان الحج (كذا بالاصل ولعله محرف عن

ومتى شرائط ذلك الحج فحرقه الكاتب فليحرقوا

شرائط ذلك الزمان قال اذا طولوا المنائر وزخرفوا المساجد وحلقوا الشوارب وقصروا مقصاتهم وفسقت الرجال بالرجال والنساء بالنساء ولم يعرفوا حتي وحق أهل بيتي فعليهم من أمتي لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعند ذلك يأمر الله تعالى الارضين أن لا تنبت لهم وما تنبت لا يبارك لهم فيه ولا يربح لهم تجارتهم ويكثر فيهم الربا ويحيثهم المطر والبرد في غير وقته وحينه هم مني براء وأنا منهم برىء (وقال) عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة أو قال ان من أشراطها ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا وتقل الرجال وتكثر النساء حتي يكون لخمسين امرأة قيم واحد قال يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في قلوبهم يتهافت^(١) تهافتا قيل وما تهافته قيل يقرأ أحدهم فلا يجد له ارادة في حلاوته اذا بدأ أحدهم فانها همته الاخرى وان عملوا الذنوب قالوا سيفقرنا وان تركوا الفرائض قالوا لا يعذبنا الله ونحن لا نشرك به شيئا أمرهم رخاء لا خوف فيه (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (وروي) ان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جاء الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اني رأيت في المنام ان ثيرانا كبارا يحلبون ثيرانا صغارا قال ثم ماذا رأيت قال ورأيت أصناما على منابر يرى من أفواههم شرر النار قال ثم ماذا رأيت قال بساتين خضر على حافة نهر والنهر يابس لأماء فيه قال ثم ماذا رأيت قال طائرين رأيتهما خرجا من وكرهما ثم لم يعودا قال ثم ماذا رأيت قال مرضى يعودون أصحاء قال ثم ماذا رأيت قال فرسا برأسين يأكل ولا يتغوط قال ثم ماذا رأيت قال كرباسا معلقا من السماء قد تعلق بطرف منه كل واحد فقال علي رضي الله عنه أما

(١) قوله يتهافت تهافتا الى قوله همته الاخرى كذا بالاصل وليس معناه وانحأ

الثيران الذين يجلبون فهم الامراء يجلبون عامة الناس وأما الاصنام على المنابر فهو أن يجلس عليها من ليس لها بأهل وأما البساتين الخضر دونها النهر اليابس فهو العالم ظاهره عامر بالعلم وباطنه يابس من الفعل والعمل بالزهد وأما الطائران فهما الوفاء والامانة يخرجان من وكرهما ولا يرجعان الى يوم القيامة وأما المرضى يعودون الاصحاء فالفقراء يختلفون الى باب الاغنياء ولا يواسون وأما الفرس الذي برأسين يأكل ولا يتغوط فهو الغني يأكل ولا يشكر وأما الكرباس فهو الاسلام (وسمعت) بعضهم يقول ان من اشراط الساعة ان تذهب الحمية من الشيوخ ويذهب الحياء من النسوان وتذهب الامانة من التجار ويذهب العدل من السلاطين (وقال) صلى الله عليه وسلم هل فيكم من يريد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هاد ويذهب الله عنه العمى ويجعله الله بصيراً قالوا بلى يا رسول الله قال من قصر أمله يعطيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هاد ويذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً

الباب الثالث عشر

(من مبر على المصائب أدرك خير ومنه ومن رضى بالقضاء زال فقره ونال غناه)
(عن الحسن البصري) رضي الله تعالى عنه انه قال اذا نزل العبد في درجة الرضا طويت الصحف بينه وبين الله تعالى فلم يكتب عليه شيء لان معاملته بينه وبين الله تعالى لا يعلم بها الحفظة (لبعضهم)
وأصبر في ظلمات ليسلى تجلدا * ضجيع رجاء أن يكون لي الفخر
وليس الفتى من ضاق في الصبر صدره * ولكنه من ضاق عن صدره الصبر
(وسمعت) ان شقيقا البلخي رحمه الله تعالى قال اذا أردت ان تكون في راحة فكل ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضى عليك (وقيل)

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال أين الراضون بالمقدور
الساعون للمشكور عجت لمن يؤمن بدار الخلود كيف يسعى لدار العرور (قال)
ابن أخي الأحنف بن قيس أصبت بمصيبة فشكوتها إلى عمي الأحنف فاعرض عني
ثم عدت إليه حتى فعلت ذلك مراراً كل ذلك وهو يعرض عني وأعود إليه فقال
لي ذات يوم يا ابن أخي إذا نزلت بك مصيبة فاشكها إلى الذي يملك كشفها
ولا تشكها إلى المخلوقين فانما الناس فيك أحد رجلين إما صديق أسأته وإما
عدو أشمته بشكواك إليه يا بني أترى إحدى عيني هاتين والله ما أبصرت
سهلاً ولا جبلاً منذ أربعين سنة وما أعلمت بذلك زوجتي ولا أحداً من أهلي
(وعن علي بن الحسين) بن علي رضي الله عنهم قال إذا جمع الله الخلق
يوم القيامة ينادي مناد ليقيم أهل الفضل قال فيقوم ناس كثير فيقال لهم
انطلقوا إلى الجنة فتعرض لهم الملائكة فيقولون لهم أين تريدون قالوا نريد
الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من أنتم قالوا نحن أهل الفضل قالوا
وما كان فضلكم قالوا كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا غفرنا وإذا أسئ
لنا صبرنا قالوا صدقتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين قال فينادي مناد
ليقيم أهل الصبر فتقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فينطلقون
فتعرض لهم الملائكة لهم فيقولون لهم أين تريدون قالوا نريد الجنة قالوا قبل
الحساب قالوا نعم قالوا ومن أنتم قالوا نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم
قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرنا أنفسنا عن معاصي الله فيقال لهم
صدقتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادي مناد لتقيم جيران الله فتقوم
ناس من الناس هم أقل من أولئك فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فينطلقون
فتعرض لهم الملائكة فيقولون لهم أين تريدون قالوا نريد الجنة قالوا قبل
الحساب قالوا نعم قالوا ومن أنتم قالوا نحن جيران الله في داره قالوا وبم جاورتم

قالوا كنا نحب في الله وتبادل في الله وتزاور في الله قالوا صدقتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (وعن مالك بن دينار) رضي الله تعالى عنه قال كانت امرأة تختلف الى مجلسي فقالت لي ذات يوم ماذا يعطى الله الصابرين من ثوابه فجعلت أعد عليها فقالت تعال معي أرك فأدخلتني في بيتها فاذا أنا بولدها أعمى أشل أصم كاللحم على التنور فقالت هذا ولدي كما ترى أخدمه ولا أشكو فقلت وهل خطر ببالك عافيته فقالت نعم فقلت لست من الصابرين فشبهت شبهة فانت ورأيتها في المنام على سرير وعليها لباس حرير فقالت يا مالك بن دينار أياستني من الباب. ودخلتها بلا علم الحجاب (وعن عبد الواحد بن زيد) قال رأيت القيامة في النوم ورأيت قوماً يمرون على الصراط كالبرق فذهبت معهم فقليل لي مكانك يا عبد الواحد لست هناك ثم مرّ قوم على الصراط كالفرس الجواد فذهبت معهم فقليل لي يا عبد الواحد لست هناك فقلت في نومي بقيت مع الرجال والمشيقة فقليل لي في النوم ان أحيت ان تكون من جملة هؤلاء فاصبر على البلاء قال فابتي عبد الواحد ببلاء كان اذا سلم عليه الناس سلموا عليه من باب داره ولا يدخلون عليه من تن راحته فقليل له سل ربك العافية قال اني أخاف أن أخرج من جملة الاخوان والاخلاء اذا سألت ربي العافية من البلاء فما زال فيه حتى مات رحمة الله تعالى عليه (وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل يقول الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده فاستقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً (وأنشدني الشيخ رحمه الله تعالى)

الصبر حل وهو مر * والصبر لا يكرهه حر

جوهرة الصبر لها زينة * يحسدها الياقوت والدر
(وقال الآخر)

الصبر مفتاح كل خير * وكل شيء به يهون
فاصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات أن يكون

(وقال) صلى الله عليه وسلم ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا
سقم ولا حزن ولا أذى حتى ألهم يهيمه إلا يكفر عنه من سيئاته (وسمعت)
بعضهم يقول توفي بعض رسل الملوك بدمشق في خلافة هشام وأصيب في
جيب مدرعته لوح ذهب مكتوب فيه إذا زال الصبر افتقد الفرج وإذا قل
الشكر انقطعت الزيادة وليس شيء أحمد عاقبة من الصبر على البلاء والثقة
بأن العسر يعقبه اليسر وأنشد

صبرت على بعض الأذى خوف كلة * ودافعت عن نفسي بنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت * ولو جرعته كلة لاشمأزت
ألا رب ذل ساق للنفس عزة * ويارب نفس بالتذل عزت
إذا ما مددت الكف ألمس الغني * إلى غير من قال أسألوني فشأت
أصبر نفسي إن في الصبر عزة * وأرضى بدنياي وإن هي قلت
(وقال الآخر)

إنني وجدت وفي الأيام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في امر يطالبه * واستصحب الصبر الأفاضل بالظفر
(وقال) الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا فأخبر أنه
إنما اختارهم وجعلهم أئمة لصبرهم على حكمه . ومن جلاله الصبر قوله تعالى إن
الله مع الصابرين والايمن كله صبر (وعن أنس) رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة مصيبة محرقة ردها بصبر وحسن عزاء وجرعة غضب ردها بحلم وغفو وما قطرت من عبد قطرتان احب الى الله من قطرة دموع في سواد الليل وهو ساجد وقطرة دم في سبيل الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى صلاة فريضة او خطوة الى ذي رحم (وعن مطرف بن عبد الله) قال صليت في المتبرة ركعتين فرأيت صاحب القبر الذي كان مني قريباً يكلمني قال فقلت كيف من ههنا قال كل مسلم وكل قد اصاب خيراً قلت فأني قبر ههنا افضل فأشار الى قبر فقلت اللهم اخرجني الي فاذا هو فتى شاب قلت فبأي شيء نلت ذلك قال ابتليت بالمصائب ورزقت الصبر عليها فبذلك فضلت عليهم (ولبعضهم)

صبراً جميلاً على ما نال من حدث * والصبر ينفع أقواماً اذا صبروا والصبر أفضل شيء تستعين به * على الزمان اذا مامسك الضرر (وقيل) الصبر أحجبي بذى الحجا ومن كان في البلاء صابراً . كان الى ما يهواه صائراً . والصبر ستر من الكروب . والصبر عون على الخطوب . والصبر مطية لا تكبو . والقناعة شرف لا يذبو (وقال) صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة . وقال عليه الصلاة والسلام يا على لا ترج الا ربك ولا تخف الا ذنبك يا على لا تستحي ان تتعلم ما لا تعلم ولا تستحي اذا سئلت عن شيء لا تعلم ان تقول الله أعلم يا على ان منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الرأس من الجسد يا على ان في الصبر ثلاث خصال من جاء بواحدة لم يقبل منه يا على الصبر على المصيبة والصبر على أمر الله والصبر عما نهى الله عنه من صبر على مصيبة أعطاه الله ثلاثمائة درجة ما بين كل درجة الى صاحبها كما بين السماء والارض يا على من صبر على ما أمر الله تعالى أعطاه الله خمسمائة درجة ما بين

كل درجة الى صاحبها كما بين العرش الى الارض يا على من صبر عما نهي
الله تعالى أعطاه الله سبعمائة درجة ما بين كل درجة الى صاحبها كما بين
العرش الى الثرى (شعر)

سأودع ليلي ليلا طويلا * وأستشعر الصبر صبورا جميلا
والصبر بالرغم لا بالرضى * أخلص نفسي قليلا قليلا

بسم الله الرحمن الرحيم الباب الرابع عشر

(من صبر بفرقة الاعزة والخلان • فقد بقي في الهجران كالخيران)

(عن سويد بن غفلة) قال كانت عائشة الخثعمية تحت الحسن بن علي
رضي الله عنهما فطلقها وبعث اليها ببقية صداقها وهي ثمانية وعشرون ألف
درهم فلما جاءها الرسول قالت متاع قليل من حبيب مفارق فاخبر الرسول
الحسن رضي الله عنه فقال لولا ان الله تعالى يقول فان طلقها فلا تحمل له من
بعد حتى تنكح زوجا غيره لراجعها

فوا عجا من يمد يمينه * الى الله عند الوداع فيسرع
ضعفت عن التوديع لما رأيته * فصاحته بالقلب والعين تدمع
{ وبلغنا } ان يعقوب النبي عليه الصلاة والسلام قيل له ما الذي اذهب
بصرك قال حزني على يوسف قيل فما الذي قوس ظهرك قال حزني على اخيه
فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك
حتى تدعوني فقال عند ذلك انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال له جبريل
عليه الصلاة والسلام علم (٣) ما تشكو يا يعقوب فأوحى الله تعالى اليه لو كانا ميتين
لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم انكم ذبحتم شاة فقام
بها بكم مسكين فلم تطعموه منها شيئا وان أحب خلق الى الانبياء ثم المساكين

فاصنع طعاماً وادع اليه المساكين فصنع طعاماً وقال من كان صائماً فليطبخ
الليلة عند آل يعقوب (وعن بشر الحافي) رحمة الله عليه انه قال أشد ما يعاقب
الله به العبد في الدنيا ان يتليه بفراق الاحبة (وقال بعضهم) سمعت ابن خالويه
يقول قيل لابن جرير أرأيت قول أبيك

لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل
فما كان يفعل لو علم ذلك فقال كان يقام حدقه ولا يرى موقف
الفراق (وعن المبرد) قال ذكر لي ان رجلاً من العرب كانت له جارية
وكان بها معجبا وكان موسراً فانفق عليها ماله حتى ذهب ما في يديه وكان
يأتي اخوانه فيسألهم وينفق عليها فبلغها ذلك فقالت لا تفعل ولكن بغني لعل
الله يرزقنا اجتماعاً فخرج بها الى عبد الله بن معمر وكان عامل فارس فعرضها
عليه فاعجبته فقال له بكم تبعها فقال له بمائة ألف درهم وهي خير من ذلك فلما
دفع المال وقبضه الرجل وأراد ان يخرج أنشأت تقول

هنيئاً لك المال الذي قد قبضته * فلم يبق في كفي الا تذكري
أقول لنفسي حين جاشت بمقلتي * أقل فقد بان الحبيب أو اكثري

فنظر اليها وبكى وأنشأ يقول

فلولا قعود الدهر عني لم يكن * يفرق ما بيني سوى الموت فاعذري
أروح بحزن من فراقك موجع * يناجي به قلب كثير التمسك
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر
فقال قد شئت نخذها والمال لك فانصرف ومعه الجارية ومائة ألف درهم .

فيارب حبيبي اليها واعطني المسودة منها أنت تعطى وتمنع
والا فصبرني وان كنت كارها * فاني بها اذا المعارج مولع
الى الله أشكو لا الى الناس حبها * ولا بد ان يشكو خليل مودع

(وقال) يوسف عليه الصلاة والسلام لاخته الصغير حين دخل عليه فجعل ينظر ما تنظر الى قال خيراً فقال يوسف ومع الخير اني أرى نظراً ينبغي ان يكون له معنى قال نعم لقد فقد أبي أخاً لي ما رأيت من الناس أشبه به منك إنه كان أحسن من الشمس اذا طلعت قال له كيف كان وجدك عليه قال وجداً شديداً قال فهل تزوجت من بعده قال نعم قال فما شغلك الحزن على أخيك عن الزواج قال أردت أن لا أتزوج فقال لي الشيخ يعقوب يا بني تزوج لعل الله ان يذراً من صلبك ذرية تعم الارض بتسبيحهم فتزوجت فقال له هل ولد لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال وأي شيء سميتهم قال أما أحدهم فسميته بأخي يوسف وأما الآخر فسميته ذنباً وأما الثالث فسميته دماً فقال له أما كان في أسماء آبائك من تسميتهم بهم حتي ذكرت الدم والذنب فقال أيها العزيز انما سميتهم بهم لأن اخوتي زعموا أن أخي اكاه الذنب فأردت أن لا يخرج اسم الذنب من داري فكأما نظرت اليه بكيت وأما الدم فجأؤا على قميصه بدم كذب فقالوا هذا دم يوسف فأردت ان لا يخرج اسم الدم من بيتي فقال له يوسف سل الهك بحق آبائك ابراهيم واسحاق ويعقوب أن يرحم ضعفك ويأمر برد أخيك عليك فقال ذلك فقال يوسف عليه الصلاة والسلام أنا يوسف وأنا أخوك فارتعد الغلام حتى كاد أن يسقط فالزمه اليه فسكن { قامت } واحدة من بنات يعقوب في حاجة لها فقال يعقوب اني لأجد ريح يوسف فلما رجعت من حاجتها قالوا لها أما تعجبين من هذا الشيخ وما قال قالت وما قال قالوا قال اني لأجد ريح يوسف قالت لئن كان قال هذا لقد صدق وما كذب أبي قط قالوا فشكر الله لها حين قالت هذه الكلمة فولدت أربعاً نبي صلوات الله وسلامه عليهم (قالوا) وما انجي الله اخوة يوسف من شر ما فعلوه الا بكلمة اذ قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين قال أجمعوا على التوبة .

(٨ — المنحزون)

(واشتري) يوسف بمصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة بوزنه مسكا ووزنه دراً ووزنه
 حريراً وكان وزنه اربعمائة رطل ذلك اليوم (وشروه بثمان بنحس) يعني عشرين
 درهما وبين فقد أبيه اياه وقيامه ثمانون عاماً (قال الشافعي) رضى الله عنه لا سرور
 يعدل صحبة الاخوان ولا غم يعدل فراقهم الغريب من فقد الله لا من فقد منزله
 واحسرة للفتى ساعة * يعيشها بعد أودائه

عمر الفتى لو كان في كفه * رمى به بعد أحبائه

{ قال } لما ودع الحسن اخاه معبداً اذ خرج الي فارس قال ابن لك
 داراً مفارقة بين الاحباب أحياء وأمواتاً { ولبعضهم }

لا خير في الصبر على كل ذا * شر بكم الصنم وشر بي القذى
 من علق الحب على قلبه * فارق ما يهوى وقاسى الاذى
 لا حبذا المهجران من قادم * يغصني يومي ولا حبذا
 { وقال الآخر }

لا تلهني فليس مثلي يلام * لوم مثلي على البكاء حرام
 منعونا من السلام وساروا * فأشارت فكان ذلك سلام
 { وقال الآخر }

اذا ارتاب بي اهلى لطول ترقبي * نجوم الدجا والليل لليل ينتمي
 تسترت بالتنجيم فيك وانما * أدلس فيهم في صفات منجم
 ومن لم ير التوديع لم ير موقفاً * هو الحشر في الجنات أو في جهنم
 { وقال الآخر }

قامت تودعني والدمع يغلبها * كما تميل نسيم الريح بالغصن
 ثم استمرت وقالت وهي باكية * ياليت معرفتي إياك لم تكن
 «وعن عبد الله النهرواني» قال قدم لقمان الحكيم من سفره فلقية

غلامه فقال ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت أمري ثم قال ما فعلت
أبي قال ماتت قال الحمد لله ذهب همي قال ما فعلت امرأتى قال ماتت قال
الحمد لله جدد فراشي قال ما فعلت أختي قال قال ماتت قال الحمد لله سترت عورتي
قال ما فعل أخي قال مات قال انقطع ظهري

❦ الباب الخامس عشر ❦

(من قصد رد القسمة والقضاء • فقد شغل قلبه وجسمه بالعناء)

(عن انس بن مالك) رضي الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم تنهياً الا قال لو قضي لكان
ولو قدر لكان { وعن ابن عمر } رضي الله عنهما قال قالت أم سلمة يا رسول الله
لا زال يصيبك ألم في كل عام من تلك الشاة المسمومة التي اكلت قال فما اصابني
شيء منها الا وهو مكتوب على آدم عليه الصلاة والسلام في طينته (وعن
انس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مات
حبر من بني اسرائيل فلما حملوه على مغتسله وجدوا في عنقه لوحاً من نحاس
فيه ثلاثة اسطر . أولها الصمت سيد الاخلاق . والثاني من مزح استخف به
والثالث من حمل الامور على القضاء استراح (وقال بشر الحافي) خرج فتى في
طلب الرزق فيينما هو يعيش اذ أعيا فأوى الى خربة كي يستريح فيها اذ وقعت
عيناه على لوح أبيض فيه مكتوب

اني رأيتك قاعداً مستقبلي * فعلت انك للهوم قرين
هوّن عليك وكن بربك واثقاً * ان التوكل شأنه التهوين
أرقص بها وتخل عن ثوابها * ان كان عندك بالقضاء يقين
(وقال) ما من يوم الا وتضحك أربعة على أربعة الاجل على الامل

والقضاء على الحذر . والقدر على التدبير . والقسمة على الحرص (ولبعضهم)
 قدر الله واسع * حيث يقضى وروده قدمضى فيك حكمه
 وانقضى مايريده فأرد ما يكون ان * لم يكن مايريده
 (وقال آخر)

قد كنت أعذل بالبطالة اهلبا * وجهلت ماتأتي به الايام
 واليوم أعذرهم وأعلم أنما * سبل الغواية والهدى أقسام
 هون عليك يكون ما هو كائن * قضى القضاء وجفت الاقلام
 (وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

أفكر في نوى النى وصبري * وأحمد همتي وأذم دهري
 وما قصرت في طلب ولكن * لرب الناس أمر فوق أمري
 (وقال الآخر)

فوق العقول تصرف الا زمان * ما المرء الا لعبة الحدثان
 سعى وجهد جاهد وتغلب * حالا بحال ثم كل فاني
 ولربما اتفق المراد بأسره * للعاجز المأفون والمتواني
 ما حيلة الانسان في مأموله * والعجز آخر حيلة الانسان
 وكأنا حرص الحريص وجهده * سبب يؤديه الى الحرمان

(وقال أبو العباس الساري) كيف السبيل الى ترك ذنب كان عليك في
 اللوح المحفوظ مخطوطا . والى صرف قضاء كان به العبد مربوطا . ﴿ وقيل ﴾
 كان عابدا في بني اسرائيل فتقلت عليه العبادة وقال في نفسه اني ان لم أرميت لا تعود
 نفسي الى العبادة فخرج من صومعته وصعد الجبل ونظر في المفازة فرأى
 ثلاثة أنفس بها فقصده نحوهم فلما قدم عليهم ودنا منهم فاذا هم اثنان ولم ير
 الثالث فسأل عن ثالثهما فقالا لدغته حية فمات منها فاذا هو متنفخ فقال هل له

من قرابة فقال أحدهما أنا أبوه وقال الآخر أنا أخوه فقال لو الله سبحانه الله
أولاً تحزن على ولدك وهو قررة عينك قال وما يغني بكائي وحزني عليه
وانما هو عارية وهو أحق بأخذ العارية مني وقال لأخيه أو ما تحزن على أخيك
قال فما يغني حزني عليه وانما مثلي معه كمثل قافلتين ارتحلت احداهما عند
صلاة الظهر والأخرى عند صلاة العصر فقال لهما العابد فهل له قرابة غيركما
قالا نعم والدته وزوجة ولعلك تراهما في بعض الطريق فشئ العابد فاذا هو بامرأة
جميلة شابة فقال لها أجرك الله عز وجل قالت بمن قال بزواجك قالت
ما أصابه قال لدغته حية ومات فبهت ساعة وقالت انا لله وانا اليه راجعون
ثم قالت الحمد لله ومشت فقال العابد ألا تبكين عليه وتحزين بموته قالت وما
ينغني بكائي وحزني عليه انما مثلي ومثله كمودين مطروحين في الماء فالفهما
الريح واجتمعا ثم جاءت ريح أخرى فقرقهما ثم ذهب الى والدته فاذا هي عجوز
فقال لها أجرك الله قالت بمن قال بابنك قالت وما أصابه قال لدغته حية فسكتت
ساعة ثم قالت الحمد لله فقال سبحانه الله أولاً تجزين على ولدك وانما هو ابنك
وقرة عينك قالت وما يغني حزني وبكائي وانما مثلي ومثله كماء أنزله الله من
السما فاختلط به نبات الارض ثم جاء أمر الله تعالى فصار حصيدا كأن لم يكن
قبل ذلك فذلك الخلق يولد ويموت ثم يبعث ثم يصير فريقين فريقا في الجنة
وفريقا في السعير ثم قامت في تعبدها فرجع العابد الى صومعته وهو يقول
حسبي حسبي حتى الممات وأنشد

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم يقدر
فسل اللبيب تكن ليبياً مثله * من يسع في علم يلب ويظهر
وتدبر الامر الذي تفنى به * لاخير في علم بغير تدبر
فلقد يجد المرء وهو مقصر * ويخيب سعى المرء غير مقصر

(وللشافعي رضي الله تعالى عنه)

الجدّ يدني كل أمر شائع * والجدّ يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن محظوظاً أتى * عوداً فأثمر في يديه فصدق
واذا سمعت بأن مكدوداً أتى * ماءً ليشربه ففاض فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بئس اللبيب وطيب عيش اللاحق
(وقال آخر)

مجدّ كل حظ لا يجد * وما حرص الحريص له بمجدي
وكم عبد تقدم كل حر * وكم حر أقيم مقام عبد
«وعن عبد الله بن سلام» رضي الله عنه أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام شكّا من بعض ما ناله من المكروه فأوحى الله تعالى اليه لم تشكوني
ولست بأهل ذم ولا شكوى أفجاب ان أعيد الدنيا لاجلك وأبدل اللوح
بسببك فأقضي ما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب فبعضتي
حلفت لأن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأسلبك ثوب النبوة
ولا وردنك النار ولا أبالي (ولبعضهم)

واذا تشاجرت الرما * ح فأت أفلامي رماحي
وعليّ أن أسعى وليشس عليّ ادراك النجاح
(وعن الحارث المحاسبي) رحمة الله عليه . يقول عاقب الله يعقوب عليه
الصلاة والسلام ثمانين سنة بفراق يوسف صلى الله عليه وسلم بقوله يا بني
لا تقصص رؤياك على اخوتك قال الله تعالى يا يعقوب أتريد ان ترد قضائي
(وأنشدوا)

وقد كتبت عيني بدمع مورد * على صفرة الخدين في الشوق أسطرا
قنعت بما شاءت نفوس أحبتي * ومن فاته المطلوب يرضى بما يرى

(وقيل) ان شقيقاً البلخي اشترى بطيخة لأمه فلما قطعها اذا هي غير طيبة فغضبت عليه فقال يا أماه على من تغضين أعلى البائع أم على المشتري أم على الزارع أم على الله تعالى فأما البائع فوالله ماله ذنب وأما المشتري فوالله انه ليود أن تكون من اطيب ما يكون وأما الزارع فما له ذنب وانه ليود أن يكون أطيب البطيخ فما بقي غضبك الا على الذي خلقها يأمة الله ارضي بقضاء الله وحكمه كي لا تكوني من المردودين والمطرودين فبكت وتابت ورضيت (وروي) ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب أي عبادك أغنى قال أرضاهم بما قسمت له (ووجد) طير في قفص ينادي ويقول سبحان من طيرني في الهواء وصيرني في القفص سيكون الذي قضى سخط العبد ام رضى (قال ابو بكر النخعي) سمعت عمي يقول رأيت ابليس في المنام فقلت يامسكين مع طول خدمتك رضيت بالدنيا عنه عوضاً قال فاستعبر ثم قال تحسن أن تقرأ قلت بلى فاخرج عظماء منتقوراً فيه

هي المقادير تليني والقدر * ان كنت اخطأت فما اخطا القدر
(وقيل) المسلم من خالف هواه . واطاع مولاه . واتبع رضاه . ورضى بقضاه (وروي) أن ام سلمة كتبت الى عائشة رضى الله تعالى عنهما قد نزع الله من قوم عقولهم حتى يكون الذي يقضى على الناس

— الباب السادس عشر —

(الامير من قع بالقليل عن الكثير . ومن لم يرض باليسير فهو أسير)
(عن علي بن أبي طالب) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن آدم اكفل لي بثلاث اكفل لك بالجنة ان قنعت بما رزقك الله فأنت اغنى الناس وان انتهيت عما حرم الله عليك فأنت أروع الناس

وان عملت بما فرض الله عليك فأنت أعبد الناس (وقال يحيى بن معاذ الرازي) صارت الاغنياء بترك القناعة فقراء مع كثرة المال وصارت الفقراء أغنياء بغير المال مع القناعة ﴿ وقيل ﴾ ان رجلاً كان في سفر معه قرص من خبز فجعل يبكي ويقول ان أكلته مت فوكل الله به ملكاً وقال له ان أكله فارزقه وان لم يأكله فلا ترزقه قيل فمات ولم يأكله . وقيل في معنى قوله تعالى ان الانسان خلق هلوفاً ان الهلوع اسم بقرة وراء جبل قاف يخلق الله لها كل يوم منازة من حشيش وحوضاً من ماء فتشبع وتروى وتبكي الى غدها اهتماماً لرزقها فضرب الله مثل ابن آدم بها (ولبعضهم)

من قنعت نفسه ببلقته * أضحى غنياً وظل ممتنعاً

لله در القنوع من خلق * كم من وضع به قد ارتفعاً

﴿ وسمعت بعضهم ﴾ يقول بينما فتح الموصلي جالس مع أصحابه اذا بصبيين معهما رغيفان على رغيف أحدهما كاخخ وعلى رغيف الآخر عسل فقال صاحب الكاخخ لصاحب العسل أعطني من عسلك معلقة فقال على أن تكون كلباً لي قال فجعل في فيه خرقة وجعل يقوده ويقول هو هو فالتفت فتح الموصلي الى أصحابه وقال لو قنع هذا بكاخخه لم يصير كلباً لصاحب العسل (ولبعضهم)

اذا جمعت القنوع شاني * أتى من الرزق ما كفاني

فاستغن بالدهر عن فلان * وعن فلان وعن فلان

(وقال الآخر)

تصف القنوع وأينا يتقنع * أو أينما يرضى بما يتجمع

لله در ذوي القناعة انهم * تصفو معاليهم وقد توسع

من كان يبني لا يكدر ثم أن * تهدي جوارحه فلا يتطمع

فقر النفوس بقدر حاجتها (٣) * وغنى النفوس بقدر ما يتقنع

(وقال الآخر)

هوّن الدنيا وما فيها عليك * واجعل الهمّ لما بين يديك
ان هذا الدهر يدنيك الى * ملك الموت ويدنيه اليك
واجعل العدة ماعشت له * انما يأتيك احدى لياتيك
أنت محتاج فقير أبدا * دون أن ترضى بأدنى ما لديك

(وقال الآخر)

الجوع يطرد بالرغيف اليابس * فعلى م تعظم حسرتي ووساوسي
والموت أنصف حين اعدل قسمة * بين الخليفة والفقير البائس

(وقال الآخر)

طلبت المستقر بكل أرض * فلم أر لي بأرض مستقرا
أطمت مطامعي فاستعبدتني * ولو أنني قنعت لكنت حرا

{ وللإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه }

أمت مطامعي فأرحت نفسي * فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً * فقي أحيائه عرضي مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد * علقته مذلة وعلاه هون

(وقيل) الطمع ثلاثة أحرف كلها ضمير الوسط (وقيل) من ملك ما يكرهه ثم تعرض سفيها طامعاً فيه، فالحجر فيه (ورأى) بعضهم لصوصاً قد قطعوا الطريق وأخذوا أموال التجار وجعلوا يضربونهم ضرباً وجيعاً فقال شيخ مثل هؤلاء مع الفقراء مثل الزنبر مع النملة لان الزنبر قال للنملة يا ضعيفة ما شأنك وما طعامك قالت طعامي الحشيش ونبات الارض فما طعامك قال طعامي اللحم والشحم والكبد ثم قال لها ألا تجيئين معي الى ضيافتي فذهبت معه قال فدنا الزنبر من القصاب ووقع على اللحم فضربه القصاب ضربة فوق ميتاً فوثبت

(٩ — المخزون)

التملة واخذت قوائمه وقالت من أكل مثل هذا يجر مثل هذا ورجعت الى مكانها
(وقيل) من لزم الطمع . عدم الورع . والحسد شرّ عرض . والطمع شرّ غرض
(قال محمد بن أبي الحواري) مررت براهب في صومعته فقلت له أفدنا فأشأ يقول

كم يكون الشتاء ثم المصيف * وربيع يأتي ويمضي خريف
فانتقال من الحرور الى الظل وسيف الردى عليك مطيف
يا قليل البقاء في هذه الدنيا الى كم يفرك التسويف
عجب لامرئ يذل لذي ما * ل ويكفيه كل يوم رغيف

(وقيل أنفذ عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة دينار الى أبي ذر الغفاري
رضي الله عنه وقال لعلامه ان قبل ذلك فأنت حر فحملها اليه فلم يقبل فقال
اقبل فقيه عتي فقال أبو ذر ان كان فيه عتقك فقيه رقي (ووجد) في أربع كتب
أربع حكم . في التوراة من قنع سبع . وفي الانجيل من ترك الشهوات استراح .
وفي الزبور من اعتزل سلم . وفي القرآن من يعمل سواً يجز به (وسمعت) بعضهم
يقول ان فأرة من فأرات البيوت زارت فأرة في البرية مع البؤس والشدة فقالت
لها ألا تحضرين بي قري بيتنا محسواً من الخنطة والسعير وأنواع الاشياء وتري
ما أنا فيه من النعمة فدخلت معها بيتها واذا صاحب البيت قد رصد لها واذا
الرصد لبنة تحتها ثمرة فأرادت اخذ الثمرة فوقعت عليها اللبنة وبقيت تحتها ميتة
قال فدنت منها الفأرة البرية متعجبة وهزت رأسها وقالت نعم كثيرة وحمل
ثقليل وهربت الى مكانها في البرية قانعة (ووجدت) في كتاب أخى أن أربعة
اخوة كانوا في معيشة واحدة فمضى اثنان منهم الى التجارة واثنان قنعا بما رزقا
فمات أحد التاجرين في الطريق وقطع الطريق على الآخر فأشدد أحد القانعين

خرجنا في طلاب الرزق حولا * وخلفنا القناعة في الاقامه
فأبنا خائبين وقد سلمنا * وما خاب امرؤ رزق السلامه

❦ الباب السابع عشر ❦

(البلاء المنزل على البدن • من أشد المحن وأكبر الفتن)

(عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وبه أربعة عروق عرق العمى وعرق الجذام وعرق الفالج وعرق البرص فأما عرق العمى فان الله تعالى يقطعه بالرمد فاذا رمد أحدكم فليحمد الله وأما عرق الجذام فان الله يقطعه بالزكام وأما عرق الفالج فان الله يقطعه بالبلم فاذا قذف أحدكم فليحمد الله وأما عرق البرص فان الله يقطعه بالدمامل (وعن أبي بكر) رضي الله عنه انه قال يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به) وكل سوء عملناه يجزينا به فقال غفر الله لك يا أبا بكر أأست تحزن أأست يصيبك الاذى قال بلى قال هو ما تجزي به (وعن ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما انه أصابه حجر وهو يرمي بالحجارة فشجه فقال ذنب بذنب والبادي أظلم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من حم ثلاث ساعات فصبر فيها شاكر الله تعالى حامداً له باهي الله به ملائكته فقال ملائكتي انظروا الى عبدي وصبره على البلاء اكتبوا لعبدي براءة من النار قال فيكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم براءة من الله عز وجل لعبدي فلان بن فلانة اني قد آمنتك من ناري وأوجبت لك جنتي فادخلها بسلام (وعن أبي عبيدة) قال مكتوب في التوراة يا ابن آدم أمرتك فتوانيت ونهيتك فتماديت يا من اذا مرض شكاً وبكى واذا عوفي ترمد وعصى • وقال عليه الصلاة والسلام من أطعم مريضاً شهوته أطعمه الله من ثمار الجنة (وعن علي) رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أيما عبد من عبادي ابتليته ببلاء على فراشه

فلم يشك الى عواده بدلت له خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه فان قبضته فالى
رحمته وان عافيته عافيته وليس له ذنب قيل يا رسول الله لحم خير من لحمه قال لحم لم
يذنب ودم لم يذنب (وقال) صلى الله عليه وسلم من قاذ أعشى أربعين خطوة
وجبت له الجنة وقال ضعفاء أمتي الاضراء (وعن عثمان بن أبي العاص) رضي
الله عنه انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بي وجع كاد يهاكني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسحه بيمينك سبع مرات وقل أعوذ
بعزة الله وقدرته من شر ما أجد قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني فلم أزل
أمر به أهلي وغيرهم (وقال) صلى الله عليه وسلم يصيح صائح يوم القيامة أين
الذين أكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا
أنتم تحزنون ويصيح صائح أين الذين عادوا فقراء المؤمنين والمساكين في الدنيا
فيجلسون على منابر من نور فيحدثون الله تعالى والناس في الحساب (لابن مقلة)

ذكرت شكائك لي وكأسي في يدي * فزجتها دمعاً مكان الماء
حاشاك من ألم وعارض علة * وكذا فدتك من الردى أحشائي
لقاك ربك صحة وسلامة * وفديت بي من سائر الأسواء

(وقال موسى) عليه الصلاة والسلام يارب من تظل تحت عرشك يوم
لا ظل الا ظلك قال يا موسى الذين يعودون المرضى ويشيرون الهلكي ويعزون
الشكلي (وكان) سهل بن عبد الله رحمة الله عليه اذا عاد احداً من أصحابه يقول
له اذا اردت ان تشكو فقل آه آه فانه اسم من اسماء الله يستريح اليه المريض
ولا تقل آخ فانه اسم من أسماء الشيطان (قال) وسمعت ابراهيم بن أدهم يقول
مرض بعض العباد الاخير مرضة فدخلت اليه أعوده فجعل يتنفس ويتأسف
فقلت له على م تنفس وتأسفت رحمك الله قال ما تأسفي على البقاء في ار
الاحزان والغموم والخطايا والذنوب فقلت له على ماذا فقال تأسفي على ليلة نمتها

ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله عز وجل (وقيل) ان أعرابياً
أتى عبد الله بن جعفر وهو محموم فأنشأ يقول

كم لوعة في الندي وكم قلق * للجود والمكرمات من قلقك
ألبسك الله منه عافية * في نومك المبتغي وفي أرقك
أخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم البخيل من عنقك
قال فأمر له بألف دينار (وقال آخر)

قيل لي انك صدعت * وخالطت أذني حتى ذني
لابك السوء ولعن * كان بنفسي وأمي وأبي
(وسمعت) بعضهم يقول دخل رجل على مريض فأعرض عنه فأنشأ يقول
عليل لا يعاد من الخساسة * له نفس تحيد عن النفاسة
دخلت أعوده فازور عني * كأني جئت لأدق رأسه

(وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا فقد الرجل من أصحابه ثلاثة أيام يسأل عنه فان كان غائباً دعا له وان كان
شاهداً زاره وان كان مريضاً عاده فتقد رجلا من الانصار في اليوم الثالث
فسأل عنه فقيل يارسول الله تركناه مثل الفرخ لا يدخل في رأسه شيء الا
خرج من تحته فقال صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه عودوا أخاكم قال
نفرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زموده وفي القوم أبو بكر وعمر فلما
دخلنا عليه اذا هو كما وصف لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
تجدك قال لا يدخل في رأسي شيء الا خرج من تحتي قال ومم ذلك قال يارسول
الله مررت بك وأنت تصلي المغرب فضليت معك وأنت تقرأ هذه السورة
القارعة ما القارعة قال فقلت اللهم ما كان لي من ذنب أنت معذبي عليه في الآخرة
فعجل لي عقوبته في الدنيا فنزل بي منازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنس ماقلت ألا سألت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
ويقيك عذاب النار فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فدعا كذلك ودعا له النبي
صلى الله عليه وسلم قال فقام كأنما نشط من عقال قال فلما خرجنا قال عمر
يا رسول الله حضضتنا آنفا على عيادة المرضى فما لنا في ذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المرء المسلم اذا خرج من بيته يعود أخاه المسلم خاض في
الرحمة الى حقويه واذا جلس عند المريض غمرته الرحمة وغمرت المريض الرحمة
وكان المريض في ظل عرشه وكان المائد في ظل عرشه ويقول الله للملائكة
كم احتبس عند المريض العواد قال يقولون أي رب فواقا وان كانوا (٣) قد
احتبسوا فواقا فيقول الله عز وجل للملائكة اكتبوا لعبدي المائد ألف حسنة
قيام ليلا وصيام نهارها واني لن أكتب عليه خطيئة واحدة قال فيقول الله
عز وجل للملائكة انظروا كم (٤) قال فيقولون ساعة فيقول ان كانوا احتبسوا
ساعة اكتبوا له دهرا والدهر عشرة آلاف سنة وان مات قبل ذلك دخل
الجنة (وعن مالك بن دينار) قال دخلت على جاري وهو مريض فقلت
عاهد الله ان تتوب عني أن يشفيك فقال هيهات يا أبا يحيى أنا ميت ذهبت
أعاهد كما كنت أعاهد فسمعت قائلا من ناحية البيت يقول عاهدناك مرارا
فوجدناك كذوبا ثم أنشدني

ان مع اليوم فاعلمن غدا * فانظر بما يقتضي مجيء غده

لم يرن طرف امرئ الى امل * الا وشي يموت من جسده

(وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله

عليه وسلم وسأله عن قول أيوب مسني الضر فبكى النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قال والذي بعثني بالحق نبيا ما شكنا فقرا نزل به من ربه لكن كان في بلائه

سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات فلما كان في بعض الساعات

وثب ليصلي قائماً فلم يطق التماس من مجلسه ثم قال مسني الضر وأنت أرحم
 الراحمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) أكل الدود سائر جسده حتى بقي
 عظاما نخرة وكانت الشمس تطلع من قلبه وتخرج من نخبه ^(٢) ثم قال النبي صلى
 الله عليه وسلم مابقي الا قلبه ولسانه وكان قلبه لا يخلو من ذكر الله عز وجل
 ولسانه لا يخلو من ثنائه على ربه فلما أحب الله الفرج بعث اليه دودتين
 احدهما على لسانه والاخرى الى قلبه قال يارب مابقي الا هاتان الجارحتان
 قلبي ولساني اذكرك بهما وقد أقيمت هاتان الدودتان احدهما الى قلبي
 والاخرى الى لساني ليشغلاني عنك ويطلعا على سري مسني الضر (وقال)
 صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمنازل لا ينالها العباد بأعمالهم ليس لها علاقة
 من فوقها ولا عماد من تحتها قيل يارسول الله وكيف يدخلها أهلها قال يدخلها
 أهلها شبه الطير قيل يارسول الله لمن تلك المنازل قال لاصحاب البلايا والهموم
 والامراض (وقال) صلى الله عليه وسلم الحمى حظ المؤمن في الدنيا من النار

❦ الباب الثامن عشر ❦

(منافع الدنيا مقرونة بالتواضع • ونوائها منوطة بالمواهب والمنافع)

(في قوله) تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قيل العسر الاول
 والثاني واحد واليسر الثاني غير اليسر الاول فانه عرف العسر في المرتين
 بالالف واللام وذكر اليسر في المرتين بحذف الالف واللام والمعرف اذا
 أعيد بأل كان عين الاول والمنكر اذا كرر كان غيره فكانه قال مع العسر
 الواحد يسرا (وقيل) مر الحسن بن علي رضي الله عنهما على دارين فسمع

(١) قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الدود سائر جسده حتى بقي

نظر فان الانبياء منزّهون عن الادواء المتفجرة كما هو منصوص في محله ولا يجرراه

من أحدها صوت المازف، ومن الأخرى النياحة فوقف عليهما وأنشد
 نياحات تجاوب من ديار * وأصوات المازف من ديار
 ففي حالهما عجب ولكن * على الأقدار تختلف المجاري
 (وقال آخر)

الدهر أثنان خريف وصر * والعيش عيشان فخلو ومر
 والوقت وقتان فخر وقر * واليوم يومان فخير وشر
 والناس أثنان فنذل وحر * نهاري زول وليل يكر
 كذلك الزمان على مآثرى * وكل السنين على ذاتمر
 (وقال آخر)

فيوما ترانا في الثريد نسيغه * ويوما ترانا نأكل الخبز يابساً
 ويوما ترانا في الخزوز نجرها * ويوما ترانا في الحديد عوابساً
 ويوما ترانا مكثرين أعزّة * ويوما ترانا معدمين مفالسا
 ويوما ترانا صاغرين أذلة * ويوما ذوى عزّ نزين المجالسا
 (وقال آخر)

إذا ماراك الدهر يوماً بنكبة * فبهى له صبراً ووسع لها صدرها
 فإن تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسراً ويوما ترى عسراً
 (وقال آخر)

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعدله وعساه
 والدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك أن تلقى الذي تخشاه
 ﴿حكاية في الفرج بعد الشدة﴾

(عن عوف الاعرابي) قال رأيت رجلاً أبيض أصفر كأنه مضروب
 بالزعفران قال فقلت له مالك قال بي شأن من الشؤون قال فقلت ما شأنك قال

كنت في حبس الحجاج بن يوسف ومعي جماعة في الحبس فأمر بأخراجنا
لتضرب أعناقنا قال فضربت أعناق القوم وبقيت وادركنا المساء فأمر بي أن
أرد إلى الحبس ليضرب عني في غد فبت بليلة لا يعلم بها إلا الله فبينما أنا نائم
اذ أناني آت في منامي فقال أينام مثلك والناس يبكون مصيبتك ثم قال
قل قلت ماذا أقول قال قل يا من لا يشغله شأن عن شأن أحاط علمه بما أراد
عالم خفيات الأمور ومحض لسرائر الصدور أنت منقذ الغرقى وأنت منجى الهلكى
أنت محسن مجمل منعم متفضل صل على محمد وعلى آل محمد عجل اللهم فرجي
في عافية قال فأنشق الحائط وانفك القيد من رجلي وخرجت ولم يدر أحد
بي فتغير لوني الذي رأيت من العجب وأنشد .

فبينما الفتى ضيق رحيه * وقد أمسك الهم منه النفس
أتيح له فرج عاجل * كضوء الصباح أزال الغلس
(وقال آخر)

توقع صنع ربك سوف يأتي * بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما ناب خطب * فكم في الغيب من عجب عجيب
« وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه قال دخلت على أمير المؤمنين
على رضي الله عنه وهو يوصي ابنه محمد ابن الحنفية وقال يا بني لا تلومن أحداً
على طلب قوته فان من عدم قوته فقد عدم عقله وماله أهله وكان كثير
كلامه وبالا عليه . يا بني التقير ضعيف حقير لا يسمع كلامه . ولا يعرف
مكانه . تنقض بالحسرات أيامه . وان كان حكيماً فندوه وان كان عالماً
جهلوه . يا بني ان الله تعالى قد أذل الدنيا بشيئين . فأولا الموت ما أذل الله
كل جبار . ولولا الفقر ما خضع العبيد للاحرار . ثم أنشأ يقول
ان عضك الدهر فانتظر فرجا * فانه نازل بمنتظره
(١٠ — المخرون)

ان مسك العسرو ابتليت به * فاصبر فان الرخاء في أثره
 رب معافى شحكا تقلبه * ومبتلى لا ينال من سهره
 وآخر في عشاء ليلته * دب اليه البلاء في سحره
 من صعب الدهر ذم صعبته * ونال من صفوه ومن كدره
 (وقال آخر)

أهم بشئ والليالي كأنها * تطاردني عن كونه واطارد
 بعيد من الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
 بذا مضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
 (وقال آخر)

أتعجب مني في قيودي وأغلالي * وأنت رخي البال والعز والحال
 فلا أنت تبقى بعد مال كسبته * ولا أنا أبقى في قيودي وأغلالي
 (وقيل) لما كثر استعمال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام للجن
 والشياطين شكوا ذلك الى حكيم لهم فقالوا يكلفنا قطع البراري فقال احمدوا
 الله على انه ليس يكلفكم صعب العمل فبلغه ذلك فكلفهم البناء فجاءوه فشكوا
 ذلك اليه فقال احمدوا الله على انكم تعملون نهارا وتستريحون ليلا فبلغه ذلك
 فأمرهم به ليلا ونهاراً فرجعوا الى حكيمهم وشكوا اليه فقال احمدوا الله اذ
 تعملون متمكنين غير مستعجلين فبلغه ذلك فوكل عليهم من يحثهم ويستعجلهم
 فرجعوا اليه وأخبروه فقال احمدوا الله اذ تنقلون ماتقلون ذاهبين فاذا
 انصرفتم استرحتم فكلفهم النزول بالصخور والصعود بالاساطين والجذوع
 فرجعوا الى حكيمهم وأخبروه فقال لهم قد تناهت بكم الشدة فانتظروا
 الفرج فمات سليمان عليه الصلاة والسلام تلك الليلة وتخلصوا من تلك الاعمال
 (وقيل) نعيم الدنيا يصفى ولا يصفوا { وأنشدوا }

الهم ما لم يئضه لسيله * داء تضمنه الضلوع مقيم
ولربما استيأست ثم أقول لا * ان الذي ضمن النجاح كريم
(وسمعه) يقول بتي واحد في بلاه . ثم نال مناه . فقال ان كنت تعنيت
فقد نلت ماتمنيت

(قال صاحب الكتاب) أحوال الدنيا هي ان محاسنها تئيد . ومالوكها عييد
والزاهد فيها سعيد . وهي خضرة ونبات . وروح وراحات . وبنون وبنات . ثم
سقم وآفات . وهموم وبلبات . وغموم وحسرات . وبلاء ونوائب . وشدايد
وعجائب . هي قصر مقصور . ثم قبر متبور . ووعور وغرور . وهم غدور . ووقن
وشرور . ونور ثم ظلمة . وشهوة ثم حسرة . وانس ثم وحدة . وصحة ثم
علة . وجسم جسيم . ثم عظم رميم . بقاء للموت . وعيش ثم فوت . ولباس
وثياب . وقصور وقياب . وطرب وشراب . وانس وشباب . ثم وحشة وخراب .
وأردية من تراب . ومناقشة وحساب . وتوبيخ وعقاب . ذات بهجة وزهرات .
ورونق وصورات . ثم باد فئات . وهلك وفات . (وجدت) في كتاب
عن الصادق رضي الله عنه من طلب شيئاً لم يخاق . أتعب نفسه ولم يرزق . فقليل
له وما ذاك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سرور يوم تمامه (وأنشد بعضهم)

هل رأيت القرون كيف تغانت * درجت قبلنا وكانت وكانت
ان دنياك حية ملئت سما وان كانت الجسة لانت
كم أمور قد كنت شددت فيها * ثم هونتها على فهانت
(وقيل) من فرح في يوم . ترح في يوم . ومن ساء ديوم . سر ديوم (وقال بعضهم)
ليس النتي كل القتي * الا القتي في أدبه
وحسن أخلاق القتي * أولى به من نسبه
ومن يصاحب صاحباً * ينسب الى مستصحبه

والدهر ذو نائبة * تقضى الفتى عن أربه

❦ الباب التاسع عشر ❦

(نزول الشيب بعد الشباب • ينجر بالفناء وسرعة الذهاب)

(عن جابر) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يرعو عند الشيب ولم يستحي ولم يخش الله في الغيب فليس لله حاجة (٣)
(وأنشد بعضهم)

اني أرى رقم البلا * في فود رأسك قد نزل * وأراك تعثر دائباً
في كل يوم بالامل * والشيب والعامل الكشي * مرة من علامات العجل
فاعمل لنفسك أيها الممرور في وقت العمل
(وقال آخر)

ندير ولكنه ساكت * وضيع ولكنه شامت
واشخاص موت ولكنه * الى أن أضيفه ثابت

❦ الباب العشرون ❦

(من اشتغل بالخصاب بعد الشباب • فقد أقام شهود الزور عند الاصحاب)

(سئل) أنس بن مالك رضي الله عنه عن الشيب فقيل له يا أبا حمزة
أوشين هو قال كلكم يكرهه (ورأى) بعض الحكماء رجلاً مختضباً فقال يا هذا
أعقت شبابك بخضابك • قبل أن يدفنك الموت في ترابك { وقيل } اذا شاع
الشيب فلا المقرض يخفيه • ولا الخضاب يغنيه { وأنشدوا }

تولى اللهو اذ فقد الشبابا * وزايله التصابي حين شابا
تبدل بالشباب النضر شيبا * يسوء رداؤه الحور الكعابا

خضبت الشيب لما كان عيبا * وخضب الشيب اولى ان يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل * ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب اتى ذميا * فصيرت الخضاب له عقابا

❦ الباب الحادي والعشرون ❦

(الشيب نور وضياء ونذير • وطى الاعمار دليل على الفناء والمسير)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالى وفاقة
خاتي انى لاستحي من عبدي وأمتي يشيان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يبكيك قال ابكى ممن
يستحي الله منه ولا يستحي من الله (وعن انس بن مالك) رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قبض
الله له عند كبر سنه من يكرمه (وقيل) لما نزل بابراهيم عليه الصلاة والسلام
المشيب قال مرحبا بالعلم والحلم والحمد لله الذى أخرجني من الشباب سالما .
{وانشد بعضهم }

نعى نفسى الى نفسي المشيب * وعند الشيب يتعظ اللبيب
وان كان الشباب مضي حيبا * فان الشيب أيضا الى حبيب
سأصعبه بتقوي الله حتى * يفرق بيننا الاجل القريب
{ وقال بعض الحكماء } عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم
الصغير فانه أعز بالدنيا منك وان الشيخ يقول عن عيان والشاب عن سماع
{ وعن عبد الله بن النحام (٣) } قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنا أبيض الرأس واللحية كان بياض رأسي ثغامة فقال لي يا ابن النحام ألا
أحدثك في شيبك هذا بفضيلة فقلت بلى يا رسول الله قال ان الله تعالى

يحاسب الشيخ يوم القيامة حساباً يسيراً ثم يدفع صحيفة ذنوبه الى رضوان
 خازن الجنة ويقول يارضوان اذا دخل عبيدي هذا الجنة وتلذذ بعيشها ونسي
 يوم القيامة فادفع الصحيفة اليه فاذا هو بصبر بها وتغير لونه وارتعدت فرائصه
 فقل له يا حبيبي لا تحزن فان ربك تعالى يقول لك استحييت من شيبك ان
 أكثثك بها وانما سترتها لك لكي تعلم انه لا يخفى علي شيء في الارض ولا
 في السماء فانا قد غفرتها لك (عن عمر بن حريث) قال دخل على الهيثم بن
 الاسود فقلت له كيف تجددك قال أجدني والله قد اسود مني ما كنت
 أحب ان يبيض مني وابيض مني ما كنت أحب ان يسود مني واشتد مني
 ما كنت أحب ان يلين ولان مني ما كنت أحب ان يشتد وسأنبئك عن آيات
 الكبر تقارب الخطا وضعف البصر . وقلة الطعم اذا الزاد حضر . وكثرة النسيان فيما
 أتذكر . وترك القيام في وقت السحر . والناس يبلون كما يبل الشجر (ونظر)
 أبو زيد رحمه الله تعالى في المرأة فرأي شيبه في لحيته فقال ظهر الشيب ولم
 يذهب العيب (وقيل) ان معاوية رضي الله تعالى عنه رأي شيخا قد كان يعرفه
 قديماً فقال له كيف أنت وحالك فقال ما تسأل عن حالي كثر مني ما كنت
 أحب ان يقل . وقل مني ما كنت أحب ان يكثر . وصعب علي ما كنت
 أحب ان يذل . وذل مني ما كنت أحب ان يصعب . واسود مني ما كنت
 أحب ان يبيض . وابيض مني ما كنت أحب ان يسود . ثقلت على الارض .
 وقرب بعضي من بعض . كثر سهوي . وتقارب خطوي . فنومي سبات .
 وسمعي هفات . وهي مارات (٢) . فبكي معاوية وأمر له بصلاة (وأشد بعضهم)
 قد ضمنى الشيب فأخفيته * وكل مقراضى فأغفيته
 حتى اذا استقصيت قصي له * وقلت في نفسي أغفيته
 عارض من نفسه عارض * كانني قد كنت ربيته

أروم ما ليس له حيلة * عناني الشيب نخيلته
 (وقالت) امرأة من العرب لرجل أين شبابك وجلدك فقال من طال أمده .
 وكثر ولده . ورق عدده . ذهب جلده . يا ابن عشرين لا يغرنك الدهر فقد
 تكسر الغصون الرطاب (وعن) علي رضي الله عنه قال من أتت عليه أربعون سنة
 يقال له خذ حذرك فانك غير معذور من حلول الحذور وليس ابناء الأربعين
 أحق بالحذر من ابناء العشرين فإن الذي يطلبهما واحد . وليس عن طلبهما براقده .
 وهو الموت فاعمل لما أمامك من الحول . ودع عنك غرور القول (وكان)
 واحد يشرب وينادم قوما فدعوه يوما فلم يجيبهم فقالوا مامنك قال دخلت
 البارحة في أربعين وأنا أستحي من شيتي { وأنشد بعضهم }

بلغت الأربعين وزدت عشرا * وصرت كاتبي خلق مطرا
 أزيد بلي خفيا كل يوم * وان هبت به ريح تهرا
 (قال الشيخ الامام صاحب الكتاب)

يا أخا الأربعين قد نزل الشيب فهل رد للشباب الخضاب
 يا ابن ستين كم وكم تتمادى * والى كم يكون هذا العتاب
 يا ابن سبعين قد بقيت وعمر * ت ومات الاخوان والاصحاب
 (وقال آخر)

قالوا أينك طول الليل يسهرنا * ماذا الذي تشكي قلت الثمانينا

—X— الباب الثاني والعشرون X—

(من ازدحت عليه المصائب والسرور . فلا حيلة له الا الرضا بالمتدور)

(ومن رضي بالمتدور . هانت عليه الامور .)

(بلغني) ان الاوزاعي كان عنده حديث وكان الناس يسمونه

ويتصدونه من كل مكان ذكر انه كانت امرأة وكان لها ثلاثة بنين فحضر
يوم الاضحى فضحى بعلمها بشاة فقال أحد الغلامين لاخيه تعال حتى أريك
كيف ضحى والدي فأخبره وأمر السكين على حلقه فذبحه فاضطرب
الغلام اضطراباً شديداً فنظرت الوالدة الى القتل فوضعت الطفل من
حجرها وقامت اليه فهرب القاتل وحبا الطفل الى البرمة فقلبها على نفسه
فأحرقتة فجاء الوالد فقالت المرأة قد ذهب منا هذان الولدان فاطلب الهارب
ومضى الغلام مما داخله من الذرع والغم فاقتصره السبع ومات الاب عطشاً في
طلبه وما كانت للمرأة الا أخت فبلغها قصتها فأنشقت مرارتيها فاجتمع
الى هذه المرأة رجال ونساء يعزونها فقالت لولا محن الدنيا والمصائب وبلاؤها
لخرجنا من الدنيا مغاليس فلما أكثروا عليها أنشدت تقول

صبرت وكان الصبر خير مغبة * وأنجح شيء في الموازين يرفع
صبرت على ما لو تحمل بعضه * جبال شروري هول ذاك تقطع
وأصفيت صبري ساعة بعد ساعة * وبالله طب نفساً لعلك تنفع

﴿وعن الاصمعي﴾ قال كان في البادية رجل له ثلاثة بنين ما كان في العرب
مثلهم فماتوا في يوم واحد فاذا هو يقول الشعر فقات له يا شيخ مالك كأنك
فقدت ثلاثة أعنز فقال ليسوا في الموت بديع ولا أنا في المصيبة بأوحد ولا
جلدي في الجزع على م تلومني (وقيل) لاعرابي كيف حالك قال كل شيء
مني في ادبار. الا ادباري فانه في النار. وأنشد بعضهم

اخط مع الدهر على ما خطا * واجر مع الدهر كما يجري
ليس لمن ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

﴿حكاية﴾

{ووجدت} في كتاب انه كانت في بني اسرائيل امرأة عابدة تعلم بناتهم التوراة

فقال لها تلميذة أريد الزوج فقالت أنا أقص عليك قصة فإذا سمعتها فإن شئت فافعلي اعلمي اني كنت شابة جميلة ولي أقارب كثيرون ولنا أموال كثيرة وكنت في الجمال نادرة أهل زماني فرأيت يوماً في الطريق شاباً فعلق قلبي به فتزوج بي مكتوماً فحملت منه وعلم بي أقربائي فهجروني وأخرجوني فبقيت معه وكان فقيراً محتاجاً وكنت أحفظه بالفزل فوضعت الحمل بابن وحملت مرة أخرى فبلغ فقرنا إلى غاية فاستشرت الرجل وخرجنا إلى سفر وخرجت معه راجلين ووضعت الابن على عنقي وواحد كان في بطني فخرجنا من البلد وسرنا فراسخ وأتينا وادياً فيه ماء كثير لم نقدر أن نجاوزة فبتنا في تلك الليلة على شط البحر فأخذني الطلق فنزل الولد مني ثم أخذني النوم فلما انتهت رأيت حية سوداء تعدو فرأيتها قد ضربت زوجي وكان مريضاً فجعلته ماءً أصفر فهلك نخفت واحتلت لا قوم فقامت ورفعت الولد الصغير فدخلت الماء ووضعت على شط النهر فوقع في الماء فغرق فلما اردت الرجوع جاء ذئب وأخذ الكبير فبقيت بلا ولد ولا زوج فرجعت إلى البلد وكان قد وقع الحريق بالليل بناحية محلتنا فأحرق جميع أقربائي فما بقي منهم أحد فخرجت إلى بلد آخر وحيدة فتزوج بي رجل آخر فوجدته فاسقاً وكان يشرب الخمر كلما خرج رجع سكران فحملت منه وكان قد خرج ليلة فأخذني الطلق فلما صرته في حدة الأمر جاء وقرع الباب وهو سكران وكنت وحيدة فما قدرت أن افتح الباب ولا أن أتكلم فكسر الباب ودخل وأخذ السكين وجعل ابني المولود قطعاً قطعاً وأخذ يدأمنه وقال لي ان لم تأكل هذا قطعتك بالسكين فمن خوفي أكلت ذلك العضو من ولدي فلما أصبح ندم على صنيعه فخرج فما رأته بعد ذلك فخرجت أيضاً من تلك المدينة فوقعت في بلمة فدخلها فرأيت عجوزاً على باب جلست عندها فقصصت عليها القصة فرحمتني وأخذتني بين الامة

والبنت وعزمت أن لا أتزوج قط فكنت يوماً على سطح اذ سمعت صوت
فرس من السكة فنظرت فاذا ابن الامير خارج الى الصيد فوقعت عينه عليّ
فرغب فيّ وأخذ عن الصيد لجامه وقال للعجوز من هذه قالت ابنتي قال
زوجينها فزوجتني منه فكنت عنده أياماً في النعمة فرض ابن الامير فمات
وكان رسمهم اذا مات الزوج دفنوا زوجته معه حية في قبره فجعلت
معه في القبر فريدة عريانة فبقيت فيه يوماً وليلة في التن بجاء ذئب وفتح فيه
كوة ودخل وخرجت أنا فكنت في تلك المفازة عريانة آكل من
الحشيش فرأيت جماعة من الناس ضلوا الطريق فرأوني وقالوا أجني أنت أم
انسي قلت انسي ثم قلت من أتم قالوا اتباع نبي من انبياء الله من بني اسرائيل ضلنا
الطريق ثم قالوا عريانة أنت فأوقع أحدهم رداءه عليّ وجاءني وحملني الى البلد
ثم علمت التوراة وصرت الى هنا

﴿حكاية﴾

(وقيل) ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب أرني ولياً من أوليائك
فقال يا موسى اطلع الجبل واهبط الى الوادي تر ولياً من أوليائي فرمى موسى الى
أن وافى الى مرج فرأى بيتاً تحت الارض فنزل اليه ونظر الى انسان مجذوم
كأنه قطعة لحم ملقاة فقال السلام عليك يا ولي الله فقال عليك السلام يا موسى
كليم الله فقال موسى من أين علمت أنني كليم الله فقال اني سألت الله منذ
ليال ان يجمع بيني وبينك وانا رجل على هذه الحالة لا يقصدني احد في عيادة
فعلمت أن الله قد اجابني فقال له موسى يا حبيبي من الذي يخدمك في هذا
الموضع ومن أين طعامك ومطعمك ومشربك فقال ان لي ولدا يمضي الى هذا
الوادي في كل يوم ويحيتني بشيء من اصول البوري (٣) أفطر عليه فقال موسى
عليه الصلاة والسلام أحب أن أرى ولدك هنا فوصف له الطريق فمضى

موسى عليه الصلاة والسلام الى اسفل الوادي فنظر الى غلام كاحسن ما يكون
 كانه فلة قمر وهو يقطع من اصول البوري فبقي موسى ينظر اليه متعجباً من مثل
 ذلك الولد ومثل هذا الوالد فتبارك الله أحسن الخالقين فينبأ موسى عليه الصلاة
 والسلام ينظر اليه متعجباً اذ وثب اليه سبع فاقتصره قطعاً قطعاً فغضب موسى
 عليه الصلاة والسلام ورفع طرفه الى السماء فقال الهى وسيدى ولي من
 أولائك عليل مطروح على تلك الحالة وليس له خادم غير هذا الابن فسلطت
 عليه كلبك فقتله فأوحى الله اليه ارجع الى والده فوعزتي لترى بره ورضاه
 بذلك فرجع موسى عليه الصلاة والسلام الى أن وافي فسلم فقال له رأيت
 ولدي قال نعم قد قبضه الله تعالى فضحك فرحاً ورفع طرفه الى السماء فقال
 الهى وسيدى انما كان لى فى الدنيا هذا الفتى وظننت أنى أسبقه ويبقى خلفى
 فكيف أشكوك عليه ثم خر ساجداً ودعا ربه وقال الهى وسيدى ومولاي
 بعزتك وجلالك وارتفاع مكانك وبما كان بينى وبينك البارحة الا قبضت
 روحي فى هذه السجدة فحركه موسى عليه الصلاة والسلام فاذا هو ميت
 فقال موسى الهى وسيدى فى مثل هذا الموضع وليك ملقى وولده فى
 الوادي فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام بالكفن الخ الحكاية (وقال ابو
 بكر الوراق) رحمة الله عليه ابتلى اهل زماننا بسة بنم القلوب . وتب الابدان
 ورزئة المال . وجفاء الخلق . والتحير فى الامور . وخلط الراي . فقال من
 بعده تفسيراً لكلامه هذا انما ابتلوا بنم القلوب لانهم لم يعرفوا الله . وتب
 الابدان لانهم هربوا من الله . ورزئة المال لانهم لم يجمعوه لله . وجفاء الخلق
 لانهم لم يتولوا الله . والتحير فى الامور لانهم لم يتبعوا كتاب الله واخلط
 الراي لانهم لم يتقربوا الى الله

❦ الباب الثالث والعشرون ❦

(حكم الهواتف من عجائب الامور • وأخبارها من مكنونات الدهور)

(عن أمير المؤمنين علي) رضي الله عنه قال لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوتا ولا يرون شخصا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم أهل البيت فردوا عليه السلام فقال كل نفس ذائقة الموت ان في الله خلقا من كل هالك وعزاء من مصيبة وتداركا من كل مافات فيه ثقوا وإياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب (وقيل) مر رجل بقصر عادي مكتوب على بابه

وجاء من الدهر لي منعم * فأمل لي الدهر فيما زعم

فاذا هاتف يقول

كذلك الزمان وتكراره * وطول الليالي ومصر القدم

يشيب الصغير ويفنى الكبير * ويبلى الشباب ويبدي الهرم

(وقال بعضهم) كنا مع ثابت البناني بين المقابر فقال انظروا اليها يعني القبور فما أسكتها فسمع قائلا يقول لا يغرنك سكوتها فما أكثر المغمومين فيها ❦ وقيل ❦ مات الحسن بن الحسن فضربت امرأته على قبره فسقاطا ومكثت على قبره حولا وانصرفت فسمعوا هاتفا يقول ادركوا ما طلبوا فأجابه مجيب بل أيسوا فانصرفوا ❦ وقيل ❦ كان رجل بالكوفة عنده ابنة عم له وكان لها محبا فقال لها أتراك ان أنا مت فتزوجين فقالت ان هذا منك أخوف فتعاقدان لا يتزوج الباقي منهما بعد صاحبه فمات الفتى وبقيت بعده دهرا ثم أغراها الناس فتزوجت بابن عم لها فلما كانت ليلة بنائها سمعت هاتفا يقول وكانت تسمى دبانا حيث ساكن هذى الدار كلهم * الا دبانا فاني لا أحييها

أُمسيت عروساً وأُمسي منزلي جدياً * أُمسيت فيه وأُمسيت لأُلقاها
 قد كنت أحسبها للعهد حافظة * تموت وجداً وما جفت أُمّاها
 فاستبدلت بدلاً غيري وقد علمت * أن القبور توارى من يوافيها
 (وعن صالح المري) قال دخلت المقابر يوماً في شدة الحر فنظرت إلى القبور
 جامدة كأنها قد رُضمت فقلت سبحان الله من يجمع أرواحكم بعد افتراقها
 واجسامكم ثم يحْيِيكم من بعد طول البلى قال فنادى مناد من تلك الحفر يا صالح
 ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا
 أنتم تخرجون فسقطت والله لوجهي فزعاً من ذلك الصوت (وقيل) كان رجل
 مدمن خمر وكان يشرب فأعرض عن الشرب يوماً وكانت كنيته أبا عمرو
 فسمع هاتفاً يقول

قد جُديك الأمر أبا عمرو * وأنت معتكف على الخمر * تشرب صبياء صراحية
 سال بك السيل وما تدرى * شربت الخمر صبوحية * فما فعلت لو أخذت بالبكر

❦ الباب الرابع والعشرون ❦

(من لم يأمن نفسه المتأيا . قدم في مهلته أحكام الوصايا)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وإذا أوصى نخان في وصيته
 فيختم الله له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين
 سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير فيدخل الجنة ثم قال أبو هريرة فافروا
 إن شئتم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
 الأنهار إلى آخر الآية (وقيل) إن عمرو بن محمد قال تعبد غالب بن عبد الله
 وهو ابن سبع سنين ومات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ولم ير إلا في مسجد

يعمره أو في بيت يسيره أو حاجاً أو غازياً قال دخلت عليه عند وفاته فدعا ابنه فقال لولا معرفتي بطول تهجدك في الليل الغابر الفاسق ما أوصيت اليك إذا رأيت غمرات الموت قد غلبتني فلقني شهادة أن لا إله إلا الله فإنه بلغني أنه مامن امرئ كان آخر زاده ذلك إلا أوجب الله له الجنة واقرأ عند رأسي سورة يس فإنه بلغني أنها ما قرئت عند رأس امرئ من المؤمنين الموحدين إلا سهل الله خروج نفسه فإذا أنا قبضت فسجني بثوب ولا تترك النساء يدخلن على ثم الجد الجدد في جهازي وغسلني أنت وبالغ في غسلي واستر عورتني الخ (وعن ابن مسعود) رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حيا كم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله اني لكم منه نذير مبين وأن لا تعلموا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهي والى جنة المأوي والى الكأس الاوفى فاقرأوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله (ولما) احتضر الصديق رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله تعالى عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتي * اذا حشر جت يوماً وضاق بها الصدر
فكشف رضي الله تعالى عنه عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي
(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) انظروا ثوبي هذين
فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت (ودخل)
عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما يعودوه فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان
الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم أن من صلى صلاة
الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرون الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك

(ولما) ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر رضي الله تعالى عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظاً فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل الى عمر رضي الله تعالى عنه فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم أن الله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان الله حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يشقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يخف وان الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقى بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ولا بد لك منه ولست بمعجزه (وفي وصية النبي) صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يا علي من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروءته ولم يملك الشفاعة (وفي وصيته) صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله تعالى عنه يا ابن مسعود من شرح الله صدره الاسلام فهو على نور من ربه فان النور اذا وقع في القلب انشرح وانفسح فقليل يا رسول الله فهل لذلك من علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فمن زهد الدنيا قصر أمله فيها وتركها لأهلها . يا ابن مسعود من اشتاق الى الجنة سارع

الى الخيرات ومن خاف النار ترك الشهوات ومن ترقب الموت أعرض عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . يا ابن مسعود ان شئت نبأتك بأمر نوح نبي الله عليه الصلاة والسلام انه عاش ألف سنة الا خمسين عاما يدعو الى الله فكان اذا أصبح قال لا أمسى واذا أمسى قال لا أصبح وكان لباسه الشعر وطعامه الشعير وان شئت نبأتك بأمر داود خليفة الله عليه الصلاة والسلام في الارض كان لباسه الشعر وطعامه الشعير وان شئت نبأتك بأمر سليمان عليه الصلاة والسلام مع ما كان فيه من الملك كان يأكل كل الشعير ويظم الناس الحواري وكان لباسه الشعر وكان اذا جنه الليل شديده الى عنقه فلا يزال قائما يصلي حتى يصبح وان شئت نبأتك بأمر ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام كان لباسه الصوف وطعامه الشعير وان شئت نبأتك بأمر يحيى عليه الصلاة والسلام كان لباسه الليف وكان يأكل ورق الشجر وان شئت نبأتك بأمر عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فهو العجب كان يقول ادامى الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلاي وسراجي بالليل القمر واصطلائي في الشتاء مشارق الشمس وفاكيتي وريحاتي بقول الارض مما يأكل الوحوش والانعام أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الارض أحد أغني مني . يا ابن مسعود انهم يبغيضون ما أبغض الله ويصغرون ما صغر الله ويزهدون ما زهد الله وقد أثبت الله عليهم في محكم كتابه فقال لنوح (انه كان عبداً شكورا) وقال لابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خيلا) وقال لداود (انا جعلناك خليفة في الارض) وقال لموسى عليه السلام (وكلم الله موسى تكليما) وقال أيضاً لموسى (وقربناه نجيا) وقال ليحيى عليه السلام (وآتيناه الحكم صبيا) وقال لعيسى عليه السلام (يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس

تكلم الناس في المهد وكهلا) الى قوله (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني)
وقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)
(وفي وصية) النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر يا أبا ذر اغتسم خمسا قبل خمس
شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل
شغلك وحياتك قبل موتك . يا أبا ذر اياك والتسوية بعملك فانك بيومك
ولست بما بعده فان يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم وان لم
يكن غد لك فلا تندم على ما فرطت في اليوم . يا أبا ذر كم من مستقبل يوما
لا يستكمله ومنتظر غدا لا يباغفه . يا أبا ذر لو نظرت الى الاجل ومسيره
لا بغضت الا مل وغروره . يا أبا ذر كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
وعد نفسك من أصحاب القبور . يا أبا ذر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء
واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن
حياتك قبل موتك فانك لا تدري ما اسمك غدا . يا أبا ذر ان لم تدرك الصرعة
قبل العثرة فلا تقال العثرة ولا تتمكن من الرجعة ولا يحمذك من خلقت بما
تركت ولا يعذرك من تقدم عليه مما اشتغلت به . يا أبا ذر كن على عمرك
أشح منك على درهمك ودينارك . يا أبا ذر ان حقوق الله جل ثناؤه أعظم من
ان يقوم بها العباد وان نعم الله أكثر من ان يحصيها العباد ولعلكن أمسوا
وأصبحوا تائين . يا أبا ذر انك في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال
محفوفة والموت يأتي بغتة ومن يزرع خيرا يوشك ان يحصد خيرا ومن يزرع
شرا يوشك أن يحصد ندامة واسأل زراع مثل ما زرع لا يسبق بطي لحذنة
ولا يدرك حريص مالا يقدر له ومن أعطى خيرا فالله أعطاه ومن وقى شرا
فالله وقاه . يا أبا ذر المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم الزيادة ان المؤمن
ليرى ذنبه كأنه صخرة يخاف ان تقع عليه وان الكافر ليرى ذنبه كأنه ذباب

مر على أنفه . يا أبا ذر ان الله تبارك وتعالى اذا أراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه واذا أراد بعبد شرا أنساه ذنوبه لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت

❦ الباب الخامس والعشرون ❦

(من امتطى متن الحرص ورمى به في ميدان غرور الامل . عسف به عن منهج السداد وأنساه ذكرها ذم اللذات وقاصف عود الاجل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثروا من ذكر هاذم اللذات) قال بعض أهل العرفان رحمه الله معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا . وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم واللييلة عشرين مرة . قال بعض الكمل وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهالك في شهوات الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم) تحفة المؤمن الموت . وانما قال هذا صلى الله عليه وسلم لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال مدة حياته فيها في عناء من مقاساة تذليل جماع نفسه ورياضة شهواته ومداغة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه (وقال صلى الله عليه وسلم) الموت كفارة لكل مسلم . وقد أراد صلى الله عليه وسلم بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض (وقال

عطاء الخراساني) مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعمل فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت (وقال أنس رضي الله تعالى عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فإنه يحص الذنوب ويذهب في الدنيا (وقال) صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا (وخرج) رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما الذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة (وقد ورد) أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه كان يجمع الفقهاء كل ليلة فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة (وكان ابراهيم التيمي) رحمه الله يقول شيآن قطعاً عنى لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل (وقال كعب الاحبار) رضي الله تعالى عنه من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها (وورد) أن صفية رضي الله تعالى عنها قالت ان امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله تعالى عنها قساوة قلبها فقالت لها أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله تعالى عنها (وروى) ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما (وكان) داود عليه الصلاة والسلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه (وقال الحسن) رضي الله تعالى عنه ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزيننا (وقال)

مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نفص على أهل النعيم نعيمهم
فاطلبوا نعيمًا لاموت فيه (وقال عمر بن عبد العزيز) رضي الله تعالى عنه
لعبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت
ضيق العيش وسعه عليك (وقال سعيد بن المسيب) لما احتضر أبو بكر رضي
الله تعالى عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
زودنا فانا نراك لما بك (٣) فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه من قال هؤلاء
الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين قالوا وما الأفق المبين قال
قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة
فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان . اللهم انك ابتدأت
الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقًا للنعيم وفريقًا للسعير
فاجعلني للنعيم ولا تجمعني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن
تخلقهم فجعلت منهم شقيًا وسعيدًا وغويًا ورشيدًا فلا تشقي بمعاصيك اللهم
انك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني
من تسعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء
ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا بأذنك
فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد
منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار
وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك أردت
بقوم الضلال وضيقته به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي اللهم
انك دبرت الأمور وجعلت مصيرها اليك فأحيني بعد الموت حياة طيبة
وفرني اليك زلني اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي
ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه هذا كله

في كتاب الله عز وجل اهـ (وقال الحسن البصري) رحمة الله عليه ان امرأ
ليس بينه وبين آدم أب حي لحقيق أن يهاب الموت (وقيل) اوحى الله تعالى الى
آدم عليه الصلاة والسلام انك عصيتني وتركت أمري واني أفعل بك وبذريتك
أربعة أشياء فبكى وقال إلهي ما هي قال كل مولود يولد لهم أميته وكل عمران
لهم فاني أخربه وكل حبيب لهم فاني أفرقه وكل جمع لهم فاني أبدده (وعن
سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه) قال دخل ملك الموت عليه الصلاة والسلام
على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقال اني أمرت بقبض روحك فقال دعني حتى
يدخل علي اسحاق قال فتركه فدخل اسحاق فاعتنقه ابراهيم عليهما الصلاة
والسلام وجعل يبكي فعرج ملك الموت فقال يا رب ان خليلك شق عليه الموت
فقال له اقبضه في منامه (وقيل) ان ابراهيم قال أداع أنت أم ناع قال ناع
قال هل رأيت خليلا يميت خليله قال فذهب ملك الموت ثم عاد اليه فقال
يا ابراهيم هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض
روحي (وأنشد بعضهم)

للعنايا رحي عاينا تدور * ككلنا جاهل بها منور
رحم الله من بكى للخطايا * كل باك لذنبه معذور
ليت شعري كيف أنت اذا ما * ذرّ في حر وجهك الكافور
ليت شعري كيف أنت اذا ما * ظل في الارض قبرك المقبور
(وقيل) للحسن رحمه الله تعالى قد كثر الموت قال لا يغلط بأحد فليل له بعد
ذلك قد كف قال لا يبقى لاحد (وعن بعضهم) قال رأيت بندارا القاضي في
المنام وهو يتبخر ويقول

ألحقنا الموت بآبائنا * وكل من عاش يوما يموت
(وعن) الاعمش رحمه الله تعالى انه قال كان ملك الموت عليه السلام يظهر

للناس فيأتي الرجل فيقول افض حاجتك فاني أريد ان أقبض روحك قال
فشكا الناس من ذلك فانزل الله عز وجل الداء وأنزل الموت خفية (وعن)
أنس رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجداء
وليس (٣) بالعضباء فقال كأن الموت على غيرنا كتب . وكأن الحق فيها على
غيرنا وجب . وكان الذي يشيع من الاموات سفر عما قليل الينا عائدون .
نبوؤهم اجدائهم . ونأكل تراثهم كأننا مخلصون بعدهم قد نسينا كل واعظة .
وأمنا كل جائحة . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق ما اكتسبه
من غير معصية . ورحم اهل الذل والمسكنة . وخالط اهل الثقة والحكمة .
طوبى لمن ذل في نفسه . وحسنت خليقته . وصاحبت سريره . طوبى لمن عمل
بعلم . وانفق الفضل من مال . وأمسك الفضل من قول ووسعته السنة ولم
يعدل عنها الى بدعة (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ألا توصيني بوصية لعل الله أن ينفعني بها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلى فاقعد يامن الموت غايته يامن القبر بيته يامن
التراب لحافه يامن اللين ستره يامن منكر ونكير زواره يامن ملك الموت
غدا ضيفه ولا ينطلق حتى يشخص به أيها المودع غدا ماله أيها المزوج غدا عرسه
أيها المورث غدا كسبه . كم من مستقبل يوما لا يستكملهم ومنتظر غدا لا يبلغه
لو نظرتم الى الاجل ومسيره لا بغضتم الامل وغروره ثم قال قم فقد أوصيت
(وللشافعي رضي الله تعالى عنه)

اني أري نفسي تنوق الى مصر * ومن دونها أرض المهامه والفقير
فوالله لأدري أالفقر والغنى * أساق اليها أم أساق الى قبيري

﴿وقال آخر﴾

وكان لنا أصدقاء كثير * وأعداء سوء فما خلدوا

فأسقوا جميعاً بكأس المنون * فمات الصديق ومات العدو
(وقد انشدوا في أهل القبور)

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغفور في ظلها
ومن المكرم منكمو في قعرها * قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد * لا يستبين الفضل في درجاتها
لوجاوبوك لأخبروك بالسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة * يفضى الى ماشاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب * في حفرة يأوى الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها
(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى مررت بالمقبرة فأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكي اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صونا ولا أرى شخصاً وهو يقول

تفانوا جميعاً فما مخبر * وماتوا جميعاً ومات الخبر

تروح وتعدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور

فيسألي عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باك (وقيل) ان معاذ لما طعن فجعات سكرات الموت تغشاه

ثم يفيق الافة فيقول خنفتني خنقاتك . فوعزتك انك تعلم ان قلبي يحب

لقاءك . اللهم انك تعلم اني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الانهار ولا

لغرس الاشجار ولكن لمكابدة الساعات . وظماً الهواجر ومزاحمة العلماء

بالركب عند خلق الذكرك (وأنشد بعضهم)

فرجي الخير وانتظري ايابي * اذا ما القارظ العربي آبا

فمن يك سائلا عن بيت بشر * فإني له بحب الرده بابا
ثوى في ملحد لا بد منه * كفى بالموت نأيا واغترابا

الردده جمع الردهة وهي نقرة في صخرة يستنقع فيها الماء والعرب تقول
فلان شيطان الردهة أى شيطان ذلك المكان وربما جمعوا فقالو رده ورده
ورداه (قال كمب الاحبار) رضي الله تعالى عنه لما خلق الله تعالى الموت
على شبه كبش أملح قال له اذهب الى صفوف الملائكة على هيئتك ناشرة
الاجنحة فاتحة الاعين قال فتعل فلم يبق ملك في السموات الا غشى عليه
ألف عام (قال الشيخ الامام) الهى ذهبت حياتي . ودنت وفاتي . وكاني
لاحق باخواني . وكاني بالمقابر فريد . فيها قبوري . اسكنت في ظلمة لحدي .
وكاني نقلت الى الآخرة .

الباب السادس والعشرون

(موت الاعزة والاولاد . صدع في الفؤاد وحرقة الاكباد .)

(عن أنس) رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع
ابراهيم في حجره وهو يحرك شفتيه فقال لولا انه موعده صادق ووعد جامع
وان الماضي فرط الباقي وان الآخر لاحق بالاول لحزننا عليك يا ابراهيم ثم
دمعت عيناه فقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نرضى الا ما يرضى الرب
وانابك يا ابراهيم لحزونون (وعن أنس) رضي الله عنه انه قال مات لعثمان
ابن مظعون ابن فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ في داره مسجدا يتعبد فيه فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان ان الله عز وجل لم يكتب
علينا الرهبانية انما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وان للجنة ثمانية أبواب

وللنار سبعة أولاد يسرك أن لا تأتي بابا من أبوابها الا وجدت ابنك الى جنبك
 آخذاً بحجزتك شفيماً الى ربك عز وجل قال بلى قال أصحابه يا رسول الله وانما
 في فرطنا ما لعمان قال نعم ولمن صبر واحتسب (وبلغني) أنه مات لاعرابية ابن
 فقامت اليه فانغمضته فقالت يا بني ذقت ماذاق أبوك وستذوقه أمك وان
 أفضل الراحة لهذا البدن النوم والنوم أخو الموت وما عليك أن كنت نائمًا في
 فراشك أو ميتًا في قبرك ثم غدا القيامة والسؤال ثم الى الجنة أو الى النار والله
 لولا أن الموت أفضل الاشياء لابن آدم لما أمت الله حبيبه محمدًا صلى الله عليه
 وسلم ولا أحيأ عدوه ابليس (ومات) ابن لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فلم
 يجزع فقيل له في ذلك قال ان الله أحب قبضه ومعاذ الله ان أكره ما أحب
 الله (وقيل) لاعرابي مات ابنه ما فعل بولدك قال أكله الدهر الذي لا يشبع
 (وتوفي) لاعرابي ابن فخين عزوه قيل له ما كان على ابنك قال كونه لو لم
 يكن لما مات فخين خلق مات (وسمعت) ان رجلاً أصيب بولده فجزع
 جزعاً شديداً وأنشأ يقول

فلولم يفارقني عطية لم أهين * ولم أعط أعدائي الذي كنت أمني
 شجاع اذا لاقى ورام اذا رمى * وهاد اذا ما أظلم الليل يصدع
 سأبكيك حتى تفقد العين دمعها * ويصلح مني الدمع ما أتوجع
 فجاء ذات يوم وشكا الى الحسن البصري جزعه فقال له الحسن هل
 كان ابنك يغيب عنك قال نعم كانت غيبته أكثر من حضوره قال فأتراكه
 غائباً فان قدم عليك والافستقدم عليه (ونعيت) الى ابن عباس رضي الله عنهما
 بنت له فاسترجع ثم قال عورة سترها الله ومؤنة كنهاها الله وأجر قد ساقه
 الله ثم نزل وصلى ركعتين وقال صنعنا ما أمر الله عز وجل واستعينوا
 بالصبر والصلاة

﴿حكاية﴾ عن صالح بن عمرو أن امرأة بالمدينة كانت صالحة وكان لها ولد من أجل الناس وجها وكان مولعا بالشراب ثم شهد مجلسا لابي عامر الواعظ وقد ذم الخمر بالفاظ وأبيات فانصرف الغلام وقد بغض الله اليه النبذ فكسر أداة البطالة وألقى عنه زي الجهالة ثم لم يلبث الا اياما قلائل حتى مات فوجدت به أمه وجدا شديدا فلزمت قبره وأطالت البكاء عليه لا ينجع فيها وعظ واعظ ولا عدل عاذل ثم أضربت عن زيارة قبر الغلام والوقوف به فسألها أبو عامر وهي في طريق مكة تحج راجلة فقال يأم الغلام ما قطعك عن زيارة قبر ابنك قالت أخبرك يا أبا عامر أني زرت قبر ابني يوما فبكيت عليه بكاء شديدا وكانت ندبتي له أن قلت حبيبي أرني صورتك أقبلها وعما نزل بها في التراب أسألكم أعطني كذك أقبلها ونحو هذا الكلام ثم غلبني النوم على القبر فسمعت جسا وقائلا يقول افسحوا لها عن قبره حتى تراه وتنظر اليه قالت فكشفت لي في النوم عن ولدي واذا به قد امتلأ لحده وانسد قبره وانصدعت مقلته وتساقط شعر لحيته وسالت على خده حدقته وكأنه قد دفع يده من القبر الىّ وهو يقول يا أماه كم تقولين اعطني كفك أقبلها وأرني صورتك أقبلها وعما نزل بها في التراب أسألكم هاك كفي تناولها وهذه صورتي فسألتها وقد فسدت وجنتي وسقط أنفي وشفتي وتساقط شعر رأسي ولحيتي وغفا البلى حسن صورتي هاك كفي يا أماه فصل البلاء عظمي واكل التراب لحمي وطال في انفراد الوحدة غمي هاك كفي تناولها أفردني في القبر أحبتي . وأسلمني لليلي اهل مودتي وقصف شظاظ (٣) قامتي . وأخلي بيتك من زيارتي هاك كفي تناولها ويحك يا أماه نظفها اغسلها نشفها أنقذها ارحمها قالت فكانه مديده الىّ وهي تجري صديدا وتنتثر دودا فهمت في النوم أن آخذها فردها الى القبر كالآسف الحزين وهو يقول هيات . لا تصدق بذلك ميتا . ولا يسمع ميت ميتا

يأماه اصبري عن البكاء الذي يضرني وعليك بالبكى الذي ينفعني ثم انتبهت وقد
كدت أن اقضي كدائم غلبها البكاء وأنشدت تقول

دنيا غرور بساكنها * قاطعة جبل آمليها
كنت أرجى به غلاما * أصفيته بالوداد فيها
حل من القلب في محل * فوق محلات آهليها
فاختلسته يد المنايا * مني وقد كان لي وجيها
فكنت أبكيه اذ تولى * والام تبكي على بنيتها
أقول من حرقتي ووجدتي * أعطني كفك أعطينيها
فمت بين القبور يوماً * بعد بكائي لنازلها
قد كشف الرب في منامي * عن صورة كنت اصطفيها
حالت وأبدى البلى لعيني * صرت أرى منظرا كريها
وقال جهراً لفرط حزن * دونك كفي تناولها
ونظفها وغسلها * ونشفها وقبلها
همت في النوم أخذ كف * فردها اذ نظرت فيها
وقال لي اذ رأى وقوفي * ورغبتني أخذها ذريها
هيئات لاصبر عن حبيب * قد غيبت القبور فيها

— ❦ — الباب السابع والعشرون ❦ —

(من يرى ميتاً عند موته وفنائه . قصد به التسلّي ولا يردّه كثرة عنائه)
(عن عائشة) رضي الله تعالى عنها قالت جاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف
عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فيه بين عينيه ووضع يده فوق صدغيه
فقال وانياء واخليلاه واصفياه صدق الله انك ميت وانهم ميتون وما جعلنا لبشر

من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) ثم غطى الثوب على وجهه صلى الله عليه وسلم ﴿وقيل﴾ ما عرف موت الحجاج الا بجارية خرجت من قصره فقالت اليوم يرحمنا من كان يرهبنا * اليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً اليوم نخدم من كانوا لنا خدماً * اليوم نظهر منا الحزن والوجع (وعن حميد الطوسي) رحمه الله تعالى قال كان يوم عيد فخرجت جارية وأنشدت تقول

من كان أصبح هذا اليوم مغتبطاً * فما اغتبطنا به والله محمود
من كان منتظراً بالفطر سيده * فان سيدنا في القبر ملحد
﴿وقيل﴾ لما قتل أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه أنشد واحد فقال
أين من كان بعلم الله مصافى للناس بابا
أين من كان اذا ما * احط الناس سحابا
أين من كان اذا ما * نودي الحرب أجابا
أين من كان دعا * مستجابا مستجابا
﴿وابعضهم في التعزية﴾

كنت السواد لمقاتي * وعليك يبكي الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

﴿وقيل﴾ لما استشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أتى الناعي المدينة فضجت المدينة بالبكاء والنحيب كالיום الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل الناس الى منزل عائشة رضي الله عنها فوجدوا الخبر قد سبق اليها فخرجوا من عندها فلما كان في غداة غد قالوا ان عائشة غادية الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل الناس يهرعون وكانت لا تطيق الكلام من كثرة الدمعة وشدة العبرة والناس من حولها محدقين حتى أتت رضي الله عنها الى باب

حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بعضا دقي الباب ونادت السلام عليك وعلى صاحبك أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أنا والله ناعية أحب أودائك إليك . ونادية أقرب الناس إليك . قتل والله ابن عمك الذي فضله لا يخفى قتل والله صفيك المرتضى قتل والله زوج سيدة النساء فاطمة الزهراء ولو كشف عنك يا رسول الله الثرى . لرأيتني والهة عبرى . ثم استرجعت وقالت انا لله وانا اليه راجعون . ثم أمرت ان يضرب بينها وبين الناس بسجاف ثم قالت يا معشر الناس ما أنتم قائلون . ولم أنتم مجتمعون . قالوا يا أم المؤمنين ما تقولين في علي قالت معاشر الناس على أن أقول في علي كان سيد الاوصياء . وابن عم خاتم الانبياء . وزوج البتول الكبرى . وسيف الله . أبا البررة وقاتل الكفرة . وواحد العشرة . أقدمكم جهاداً . وأسبقكم اجتهاداً . حليف السهر وماعون الفكر . مشيد الدين . ومولى المؤمنين . الانزع البطين . العاقل الركين . القوي في دين الله . معاشر الناس . ولقد كان بيني وبين علي هنات . في ليال مظلمات . في محال البصرة . فيالها من رجال البصرة (٣) فيالها من كرة وأي كرة . استوثق ظلامها . وهجع نوامها . فركبت السفنان . ووطئت الركبان . حتى أتيت خلال عسكره . فرأيت بين كتبين أحمرين . لا يشغله بعد السفر عن السهر . فدنوت حتى صرت بين يديه . فاذا به واضع خده بين الشرى . يبكي ويتعجب ويتلملل كتامل الشكلى . وهو يقول سجد لك وجهي . وخضع فاستسلم لامرك سلمي فكيف المفر غدا من أليم عذابك (١) قالت عائشة رضي الله عنها فدنوت منه حتى صرت بين يديه وأخذت رأسه في حجري ومسحت عوارضه من التراب ثم رجعت من عنده ولا أحد من خلق الله أحب اليّ منه . ثم ألقت نفسها على قبر رسول الله (١) (قوله قالت عائشة الخ) في نسبة هذه الحكاية لأُم المؤمنين نظر ظاهر فليحرر اه

صلى الله عليه وسلم تبكي وتلتحب وهي تقول بأبي أنت وأمي يابني الهدى قتل
والله حامل لوائك غدا . ثم نظرت الى الناس ليكون فقالت أيها الناس
ابكوا فاليوم طاب البكي . اليوم والله قبض المصطفى . وتنفس الصعداء ثم
رمت بنفسها على القبر حتى ظنوا انها قد فارقت الدنيا ثم حملتها نساء قريش الى
منزلها وهي تقول

عجبت لقوم يسألون عن الذي * فضائله مشهورة في المشاهد
تجدد حزني واستهلت مدامي * لوجهك يا من يرتجى في الشدائد
(وعن الاصمعي) قال سمعت اعرابيا يبكي عند قبر ويقول
بأبي وأمي من عبأت حنوطه * بيدي وودعني بماء شبابه
كيف السلو وكيف أنسى ذكره * واذا دعيت فاتي أدعى به
﴿ وقيل ﴾ لما مات الاسكندر وجعل في تابوت من ذهب تقدم اليه
حكيم فقال قد كان الاسكندر ينجأ الذهب وقد أصبح الآن ينجؤه الذهب
وتقدم حكيم آخر الى تابوته فقال انظروا الى حلم النائم كيف انقضي والى ظل
النمام كيف انجلي

﴿ حكاية ﴾

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما قال وفدت امرأة من اليمامة يقال لها أم رعدة
المشيرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة ذات فصاحة ولسان
فقالت بأبي وأمي يا رسول الله انا ذوات الخدور ومحل أزر البعول وممهدات
المهاد ومربيات الاولاد لاحظ لنا في الجهاد الا في الجيش الاعظم مع الكبر
والهرم فعلمنا يا رسول الله شيئا يقربنا من الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم
أم رعدة عليك بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وكثرة التوقير
للرجال فانكن اذا فعلتن ذلك كنتن في موازين حسنات الرجال قالت بأبي

أنت وأمي أني امرأة مزينة مقينة أزين النساء واقينهن أفهو حوب فاميط
 منه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم هو خير يا أم رعدة زينهن وقينهن اذا
 كسدن (قال) ابن عباس رضي الله عنهما انها عبرت أيام حياة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلما كانت في ردة مسيلمة الكذاب وخلافة أبي بكر
 الصديق رضي الله عنه أقبلت المرأة تجر ذيلها حتى وقعت على مسجد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ونادت برفع صوتها السلام عليك يا رسول الله فبكي
 المسلمون وقالوا هيهات هيهات قبض والله رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم
 رعدة قالت فمن الخليفة بعده قالوا أبو بكر الصديق قالت فاهله يعيشون قالوا
 نعم فمرت الى بيت فاطمة رضي الله عنها وكانت احدى قيناتها يوم بنى عليها
 أمير المؤمنين على رضي الله عنه فدفقت عليها الباب فخرج ابنها الحسن والحسين
 رضي الله عنهما أشعثين مغبرين قالت بأبي أنما مالي أرا كما أشعثين مغبرين قالوا
 لها ما أغفلك عما نزل بنا قبض والله جدنا ولحقت به أمنا فحملت الحسن على
 كتفها الايمن وحملت الحسين على كتفها الايسر ثم أقبلت تطوف بهما في
 أزقة المدينة تندب النبي صلى الله عليه وسلم وتقيم عليه المأتم وتقول

حزنت ياأسفى من بعد موته * لقد رماني الردى عن قوس غدار
 لم يخط لما رمى قلبي باسهمه * وقد ثوى حرها في القلب كالنار
 يأبىها المصطفى عند الضريح لقد * أرهنت في كبدي صرعى باضمار
 لو كنت شاهدة والموت يحرضه * لمت قبل رسول الخالق البارى
 يادار فاطمة المعمور ساحتها * أبقيت لي حزنا ياأبىها الدار (٣)
 ﴿وقيل﴾ لما حضرت عبد الملك الوفاة جاءت عاتكة ابنة زيد فجلست عند
 رأسه وأنشأت تقول

لوفي يدي حساب أيامي اذا * لقدقهن تعجلا لوفاتي

لاخير بعدك في الحياة وانما * أبكي مخافة ان تطول حياتي
(وكان) للشيخ ولدان ولد كان غائباً مشتغلاً باللهو واللعب فنزل يوماً
من برج له فلم يستقل بالنزول من الدرجة حتى بدره أبوه وكان اسم الولد
حسناً فقال يا حسن تب الى الله فتاب وصار من الصالحين وتوفي بعد
مرض شديد فكان يقول

على رغمي يسليني سكوتك * واني لست منك كما رجوتك
قد كنت أحذر من فرا * فكأن يكون فكان موتك
ان الحمام سقاك كما * سا من بعد أدوية سقيتك
لما حميتك ثم مت وددت اني ما حميتك
(وقال) الا صمى كنت أسير في البادية اذا أنا باعراي قاعد في وهدة
باكيا حزينا فقلت له مالي أراك باكيا حزينا فقال للمصيبة العظمى التي نزلت
بي قلت وما هي قال أصبت بولدي قلت هل قلت في ذلك شعراً قال نعم
وأنشأ يقول

نقلت من البيت المجدد والقصر * الى المنزل المجهود والبلد القفر
وبدأت من بعد الحياة وطيبها * على الرغم مني ظلمة اللحد والقبر
فلولا التعزي بالقرون التي مضت * لفارقتي عقلي وزايلني صبري
وسميته باسمي فقلت له — * يعمر عمري أويزاد على عمري
وكنت به اكنى فأصبحت كلما * كنت به فاضت دموعي على نحري
ولم أدر أن الموت بيني وبينه * يريدني العظمى وقاصمة الظهر
(وسمعت) أبا بكر الواسطي يقول من بكى أخا من اخوانه فليبك
أخاه بهذه الصنعة التي قالها الشاعر

أخ طال ما سرتني ذكره * فأصبحت أشجي لذي ذكره

وقد كنت أغدو إلى قصره * فأصبحت أغدو إلى قبره
 وكنت أراني غنيا به * عن الناس لومد في عمره
 إذا جئته طالبا حاجة * فأمرني يجوز على أمره
 (وقال آخر)

بكائي طويل والدموع غزيرة * وأنت بعيد والمزار قريب
 نسيتك من أمسي بناجيك طرفه * وليس لمن تحت القراب نسيت
 غريب وأطراف البيوت تحوطه * ألا كل من تحت التراب غريب
 (وقال آخر)

أبقيت مالك ميراثا لوارثه * فليت شعري ما أبقى لك المال
 ملوا البكاء فما يبكيك من أحد * واستحكم القيل في الميراث والقال
 القوم بعدك في حال يسرهمو * فكيف بعدك قد دارت بك الحال

— الباب الثامن والعشرون —

(تحريق الثياب والتناكير في التباحات . أني يغنيان عن نسيت مات . أو حبيب فات .)
 (عن مسروق) عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعاء الجاهلية
 ﴿وقيل﴾ لما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه خطب معاوية نائلة الكلبيّة
 زوج عثمان فقالت لا أتزوج بعد عثمان فدعت بالمرأة وكانت حسنة الشعر
 ودعت بفهر فدقت كل واضحة لها فجعل الدم يسيل عليها فأقبلت جواربها وقان
 لها ما تصنعين بنفسك قالت اني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب نخفت ان
 يبلى حزني على عثمان فوالله لا يجلس مني رجل مجلسه أبدا فذلك الذي دعا قريشا
 إلى التزوج من كلب (وخرج) أبو هريرة والنساء يبكين وأمر مروان باللوأني
 (١٤ — المخزون)

يبكين أن يضربن فقال أبو هريرة دعنه فإنه مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم
بجنازة ومعه نساء يبكين فهاهن عمر رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعنه يا ابن الخطاب فإن النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب
(وعن) عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا رب أي عبادك أحب إليك فذكر^(١) فقال الذي يبكي لفقد الصالحين كما يبكي
الصبي على فقد أبويه فإن الصبي إذا فقد هما يبكي (وقال) رسول الله صلى الله
عليه وسلم أيماناً تمته ماتت قبل أن تتوب ألبسها الله تعالى سربالاً من قطران
وأقامها على رؤس الخلائق يوم القيامة

الباب التاسع والعشرون

(تجهيز الموتي على حكم الشريعة • احسان اليهم وأمانة في الوديعة)
(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يترك درهما ولا ديناراً
لم يدخل الجنة أغنى منه ومن مات وليس له كفن قال الله تعالى لملائكته
كفنوه من ثياب الفردوس واغسلوه بالكافور والزنجبيل والسلبيل ويصلي
عليه جبريل عليه السلام مع سبعين ألفاً من الملائكة • فأما الصلاة عليه وحمله
فإنه يحمل بين العمودين ويبدأ الحملة بيمين الميت ويصلي عليه الاب ثم الجسد
وان علا (وعن) جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تعصيص^(٣) القبور يعني التعصيص (وصلى) أمير المؤمنين على جنازة فقال ان
كنت مغفوراً فطوبى لنا نصلي على مغفور وان كنا مغفورين فطوبى لك
يصلي عليك المغفورون (ومرت) باعراي جنازة فقال طوبى لك قليل له تعلم
هذا فقال لا ولكني أعرف من يحمل هذا اليه (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه

قال تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فلما سلم دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول لا تظلموا على القبر فانها أمانة ولا يدخل القبر الا ذو أمانة (وأنشد بعضهم)

كأن قد عجل الاخوان غسلك * وقام القوم يتدرون حملك
ولحد في الثرى لك بيت هجر * وأسرعت الا كف اليه قبلك
وأسلمك ابن عمك فيه فرداً * وأرسل من يديه أخوك حبلك
وصار الوارثون وأنت صفر * من الدنيا بمالك منك أملك
ولم تبك العيون عليك وجداً * ولكن العيون بكين بذلك
إذا لم تتخذ للموت زاداً * ولم تجعل بذكر الموت شغلك
وقد ضيعت حقك يوم تدعى * وأهلك يوم تنساه وفضلك
أراك تفر بالشهوات قدما * وكم قد غمرت الشهوات مثلك
كأنك بالمنايا عن قليل * وقد أوحشت بعد الانس أهلك
ألم تر جمدة الايام تبلى * وأن الحادثات يردن قتلك
ألا فخرج من الدنيا غفاء * وقدم عنك بين يديك فعلك
(وقيل) لحكيم ما أبلغ العظات . قال النظر الى محل الاموات . وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه اذا رأى جنازة يقول اغدوا فانا رائحون وروحوا فانا غادون (وقيل) موعظة بليغة . وغفلة عظيمة (وأنشد بعضهم)

يا أخي كن على حذر . قبل ان تحدث العبر
لا تكن جاهلاً كأنك لا تعرف الخبر
سبقونا الى البلى . وغداً نحن بالآثر

— الباب الثلاثون —

(نطق الكتاب بالسؤال وعذاب القبر . وما وردت الآثار بما فيه من السرور والشر)

(قال الله تعالى) فان له معيشة ضنكا (قال ان يضيق عليه قبره) . قال عطاء (اذ الاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) قال عذاب القبر (سنعذبهم مرتين) قال عذاب القبر وعذاب النار (ولنذيقنهم من العذاب الاذني) قال عذاب القبر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) قال عذاب القبر (والنفث الساق بالساق) يعني في عذاب القبر اذا سأل منكرو ونكير (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم فأحياكم حياة الدنيا (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) في القبر (ثم إليه ترجعون) في القيامة قال (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) قال عذاب القبر ﴿ وعن البراء بن عازب ﴾ رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتبهنا الى قبره ولم يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبل القبلة وجلسنا حوله ثم نكس فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع وقال اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ان المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا بعث الله عز وجل اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون منه مبد بصره فاذا خرجت نفسه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه واذا صعدت الملائكة بروحه قالت أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوا فاروه ما أعددت له من الكرامة أي وعدت (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فانه يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فينتهر انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على مؤمن فيقال له ذلك فينادي مناد أن صدقت فذلك قول الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا

بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب
 الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة الله وجنتا لهما فيها نعيم مقيم فيقول وأنت
 فبشرك الله بالخير ومن أنت وجهك الحسن بالله تبشر بالخير فيقول أنا عملك
 الصالح والله قد علمت أنك كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك
 الله خيرا قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى
 الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام
 الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي (قال) واذا كان الكافر في الاقبال من
 الدنيا والانتقطاع من الآخرة نزل اليه ملائكة غلاظ شداد ومعهم ثياب من
 النار وسراويل من قطران فيحتوشونه فتزع نفسه كما ينزع السفود الكثير
 الشعب من الصوف المبتل تنزع نفسه ومعها العروق فاذا خرجت نفسه لعنه
 كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس
 لها باب الا يكره ان يدخل بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوا
 فأرود ما أعددت له من الشرأي وعدته (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
 نخرجكم تارة أخرى) وانه يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا
 من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت
 قبيح الوجه منتن الرائحة قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط الله وعذاب مقيم فيقول
 وانت بشرك الله بشر ومن انت فيقول أنا عملك الخيث والله ما علمت أنك
 كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت
 جزاك الله شرا قال فيقيض الله له أعشى أصم وأبكم معه مرزبة من حديد لو
 اجتمع عليها الثقلان لم يقابوها لو ضرب بها على جبل لصار ترابا فيضربه ضربة
 فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على وجه
 الارض غير الثقلين ثم ينادي مناد افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى

النار فيفرش له لوحان ويفتح له باب الى النار (وعن سفيان الثوري) رحمة الله عليه قال اذا دفن الميت فثروا عليه ورجع الناس عنه أتاه الملكان يسألانه قال فيتمثل له ابليس عند رأسه فاذا قال الملكان من ربك قال فيشير الى نفسه قل أنا قال فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم المرء ما يأتيه بعد الموت ما أكل أكلة ولا شرب شربة الا وهو يبكي ويضرب على صدره (وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فرأى قوماً يمزحون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى قالوا يا رسول الله وما هاذم اللذات قال الموت وانه لا يأتي على القبر يوم الا ويتكلم فيه أنا بيت الوحشة أنا بيت الغربة أنا بيت الدود أنا بيت التراب وانه اذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحباً وأهلاً أما انك كنت من أحب من يمشي على ظهري واذا (٣) صرت الى وليتك فستري صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة يأتيه منها روحها الى يوم يدخلها وان الكافر أو الفاجر ليقول له القبر لا مرحباً بك ولا أهلاً أما انك كنت من أبغض من يمشي على ظهري واذا صرت الى وليتك فستري صنيعي بك فيضغظه حتي تلتقي أضلاعه وشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه ويصرف اليه سبعين تيناً لو ان أحدهم ينفخ في الارض كلها ما انبت شيئاً عمر الدنيا فتنهشه وتخدشه ويفتح له باب الى النار ويأتيه منها ريحها وسمومها الى يوم الحساب (وعن عائشة) رضي الله عنها قالت جاءت يهودية تسأل عائشة رضي الله عنها فقالت أعوذك الله من عذاب القبر قالت عائشة رضي الله عنها فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر ﴿وحدثني﴾ بعض اخواننا قال قال لي انسان من اخواننا رأيت ابنتي في المنام وقد ماتت

فقلت لي يا أبت هو ذا يمهّد لرجل من أهل النار يعني يعذبونه فسلمهم أن ينخوه
 عني قال فبكرت بكرة فجئت والخفار يحفر فمنعته فقال تمنعني وهي مقابر المسلمين
 قال فأخبرته برؤياي قال فاعثم أهل الميت قال حفروا له ناحية فلما كان الليل
 رأيت ابنتي فقلت لي يا أبت كذا أمرتك تهتك رجلا من المسلمين فان الله
 عز وجل قد رحمه بهتكك إياه (وعن أنس) رضي الله عنه قال دخل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النجار فخرج مذعورا فسمع صوتا وقرعا
 وقال من أصحاب هذه القبور قالوا يا نبي الله ناس ماتوا في الجاهلية فقال نعوذ
 بالله من عذاب القبر وفتنة الدجال وكان ذلك أول يوم ذكره الله فقلنا يا نبي
 وما عذاب القبر قال إن هذه الأمة تبلي في قبورها إن الرجل إذا جيء به ووضع
 في قبره جاء ملك شديد الأنتهار فيقول ما كنت تفيد (٣) أمّا من هداه الله فيقول
 أعبد الله وحده لا شريك به شيئا قال فما تقول في محمد بن عبد الله قال عبد الله
 ورسوله قال فما سألاه عن شيء إلا يخبرهما قال فينطلق به إلى مقعد كان له من
 النار فيقول هذا كان لك ثم ينطلق به إلى مقعده من الجنة فيقول قد أطعت الله
 وعصيت عدوك فيقول ذروني أبشر أهلي فيقال له اسكن ويوسع له سبعون ذراعا
 ويملاؤه عليه خضرا إلى يوم القيامة وأمّا أهل النار فيقول ما كنت تعبد فيقول
 لا أدري فيقال لا دريت ولا تليت فيضربه بمطارق بين أذنيه يصيح منها
 صيحة يسمعها من على وجه الأرض غير الثقلين الجن والانس فينطلق به إلى
 مقعده من الجنة فيقول هذا كان لك فعصيت الله وأطعت عدوك فيزداد
 حسرة وندامة ثم ينطلق به إلى مقعده من النار فيراه ثم يضيق عليه قبره حتى
 تختلف أضلاعه وراء صلبه (وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أمر بعبد من
 عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل ويدعو (١) حتى صارت جلدة

(١) قوله ويدعو كذا في الاصل ولعل فيه حذفاه

واحدة وامتلأ قبره ناراً فلما أفاق قال على م جلدتموني قالوا صليت صلاة بغير ظهور ومردت بمظلوم فلم تنصره (وقال) صلى الله عليه وسلم إذا وضع الميت في قبره ابتدرته أربعة نيران فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة ويجيء الصوم فيطفئ واحدة وتجيء الصدقة فتطفئ واحدة ويجيء الصبر فيطفئ واحدة (وقال) اهتز العرش لحب لقاء الله بعدما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل قبره فاحتبس فلما خرج قيل يا رسول الله ما حبسك قال ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله أن يكشف عنه (وقال ابن عمر) رضي الله عنهما لقد هبط يوم مات سعد ألف ملك لم يهبطوا قبلها فلو نجا من ضغطة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ (وعن سعيد الأودي) قال شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في النزع فلما قمت أخذ بثوبي فقال لي إذا أنا مت فاصنعوا بي ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنعه بأموالنا إذا مات أحد من اخوانكم وسويتم عليه التراب فليقم بعضكم ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيبه ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله فان منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ثم يقول انطلق بنا ما يقعدنا عندهذا وقد لقن حجته ويكون الله لقن حجته دونه فقال رجل يا رسول الله فان لم نعرف اسم أمه قال فليقل (يا فلان بن حواء) وقالت بنية الربيع بن خيثم يا أبت مالي أرى الناس ينامون ولا تنام قال اني أخرت النوم الى القبر (قال) النبي صلى الله عليه وسلم ما من يوم الا والارض تنادي بعشر كلمات تقول يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك الى بطني يا ابن آدم تضحك على ظهري ثم تبكي في بطني يا ابن آدم تفرح على ظهري ثم تحزن في بطني يا ابن آدم تفخر على ظهري ثم يكون لك الحسرة في بطني يا ابن آدم تأكل على ظهري ثم يأكلك الدود في

بطني يا ابن آدم تجمع على ظهري ثم تلوم نفسك في بطني يا ابن آدم تغفل
على ظهري ثم تلتبه في بطني يا ابن آدم تستأنس على ظهري ثم تستوحش في
بطني الحذر الحذر (وقال) صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا خرج من الجسد
وأتى عليه ثلاثة أيام يقول أي رب ائذن لي حتى أنظر الى جسدي الذي كنت
فيه ماحاله وما خبره فيقول الرب تعالى اذهب فقد أذنت لك قال فيأتيه في
قبره فينظر اليه من بعيد وهو متغير وقد سال من منخرية ماء ومن عينية ماء
ومن أذنيه ماء ومن فيه ماء وهو في وسط الماء قال فيبكي ويقول صرت على
هذه الحالة فمن أسوأ حالا منك بعد حسن جمالك ونضارة جسدك ثم يمضي بالبكاء
والتحسر حتى اذا مضى عليه خمسة أيام قال يا رب ائذن لي حتى أنظر الى جسدي
الذي كنت فيه فيقول الرب تعالى ونقدس اذهب فقد أذنت لك قال فيأتيه
في قبره فينظر اليه من بعيد وهو متغير وصار الماء الذي في فيه صديداً والذي
في أنفه دماً والذي في عينية قيحاً فيبكي ويقول صرت بهذه الحالة فمن أسوأ
حالا منك بعد حسن جمالك فيبكي بكاء طويلاً ثم يمضي ويقول لم تكن تذكر
هذا الموضع وهذا المنزل ولم تستعمله حتى يأتي عليه سبعة أيام آخر فيقول
يا رب ائذن لي حتى أنظر اليه مرة أخرى فيقول له الرب عز وجل اذهب
فقد أذنت لك فيأتيه في قبره فينظر اليه من بعيد وهو متغير صار الماء دوداً
ووقعت حدقتاه على وجته ووجهه ويخرج الدود من فمه وأنفه فيدخل في
منخره ويخرج من فمه فيبكي ويقول صرت جيفة قذرة أين أهلك وولدك
الذين كنت في دار الدنيا في تعب منهم وأين أملك الطويل وحرصاك الشديد
اين منزلك العاصر واين فراشك ومهادك واين ما جمعت من حلال وحرام
واين احرارك واخوانك ورفقاؤك واين من كنت تفخر بهم تركوك في
لحدك وحيداً . وبين التراب والدود طريداً لو نظروا اليك كما نظرت اليك
(١٥ — المخزون)

تركوا الدنيا وبكوا على انفسهم ايام حياتهم فالتريل لك يوم القيامة من الملك الجبار وديان يوم الدين فإليك السلام

﴿ فصل ﴾ في الاسباب . التي يتركها يمنع العذاب . وما يؤنس الموتى من اجورهم في قبورهم . وما يلحقهم من الثواب والحسنات . بعد النفوات والوفاة

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الميت يسمع الاذان ما لم يطين قبره أي ما لم يطل قبره (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا ضرب خباء على قبر ولم يعرف انه قبر فقراً تبارك الذي بيده الملك فسمع صائحاً يقول هي المنجية من عذاب القبر (وقال) صلى الله عليه وسلم يلحق الله تعالى بالميت سبعة من العمل رجل نثر علماً فله مثل اجر عمله . ورجل ترك ولدًا تقياً يستغفر له . ورجل اجرى صدقة يجرى له اجرها . ورجل اورث مصحفاً فله مثل من قرأ فيه . ورجل بني بنياناً لابن السبيل فله مثل اجر من سكن فيه . ورجل اجرى نهراً وانبط عيناً فله مثل اجر من ورده ورجل غرس غرساً لم يصب الطير ولا السباع ولا الذر ولا الذباب ولا ابن السبيل من ثماره شيئاً الا كتب الله له صدقة (وقال) صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة استقرع بهاباب الجنة واستجلب بها الرزق وكفى بها عذاب القبر (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال نزل جبريل عليه الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله تعالى بعث اليك هدية لم يبعثها الى من قبلك وهي سبع عشرة كلمة لا يدعو بهن احد عند الشدة الا فرج الله عنه يصلي ركعتين ثم يرفع يديه الى الله عز وجل ويقول يا عماد من لا عماد له ويا ذخراً من لا ذخراً له ويا غياث من لا غياث له ويا سنده من لا سند له ويا حرز من لا حرز له

ويا كريم الغفو ويا حسن التجاوز ويا عظيم العطاء ويا عون الضعفاء
ويا منقذ الغرقى ويا منجي الهلكى ويا محسن ويا مجمل ويا منعم ويا منفضل
انت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار وضوء القمر وشعاع
الشمس ودوي الماء وهفيف الشجر يا الله يا الله انت وحدك لا شريك
لك (وقال) صلى الله عليه وسلم مامن عبد يقول عند قبر ميت اذا دفن ثلاث
مرات اللهم اني اسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تعذب هذا الميت الا رفع
الله عنه العذاب الى يوم ينفخ في الصور . والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
تنور القبر (وقال) صلى الله عليه وسلم اكثروا الصلاة علي فان الصلاة علي
نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة ومن صلى يوم الخميس اثنتى عشرة
ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات
نادي ملك من تحت العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من
ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته وادخل فيه الف نور وكتب
الله بكل ركعة عبادة ألف سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم من صلى في
ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب مرة وخمس عشرة مرة اذا زلزلت
الارض أمنة الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة

❦ الباب الحادي والثلاثون ❦

(من عزي مكروبا أو مصاب . جمع الله بينهما في الثواب)

(قال) النبي صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يعزي اخاه المسلم في مصيبة
الا البسه الله من حلل الكرامة (وقيل) عزي عمرو بن عبيد علي ابن له فقيل
له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك وان امراً ذهب اصله وفرعه لحري
ان يقل بقاؤه (وسمعت) بعضهم يقول مات لقاض من المسلمين ابن فعزاه

مجوسي ومجنون ومخنث فقال المخنث اشكر الله تعالى فلعله لو عاش لكان مثلي
وقال المجوسي اعمل الآن ما عمل الجاهل بعد ثلاثة وقال المجنون كل الناس
رضوا بقضائك وأنت لم ترض بقضائه (وعزى) بعضهم آخر فقال

لا زلت تقي ونعزيكا * ولا يعزي أحد فيكا
عش يأمين الله في غبطة * يكلاك الله ويبقيكا
لو ان نفساً أعطيت سؤلها * لم يحلل الموت بناديك
(وقال آخر)

وهاهي دنيا لاتدوم بحيلة * حديثاً قصارها الردى والفجائع
وأرواحنا فينا ودائع تنقضي * ولا بد يوماً أن ترد الودائع
وما الدهر الا ترحة بعد فرحة * ولذات عيش نفستها القوارع
وتغر بأيام السرّة ضاحك * وطرف بأيام الحوادث داعم
وقد كان دهري ضاحكاً فهو عابس * وقد كان ظهري قائماً فهو راكع
وان زمانا خاني في حياتهم * يخبرني آني اليهم مسارع
وهل لامري مستتب بعد مابدت * أمور بهن الشيب في القود طالع
وقد فاتة فيما مضى من شبية * عوائر عمر ثالث ثم رابع
ففارقة أحبابه وهو بعدهم * حزين وهل حزن على ذاك نافع
يخاطبه منهم طلوع دوارس * ويخبره عنهم ديار بلاقع
ومثلي اذا ماجاء مثلك واعظاً * يقال سها والامر في ذاك شائع
وقد قيل من يسعى بتمر مبادرا * الى هجر ثارت عليه المضايح
ولولا عزاء في الطباع مركب * وكل به ان عضه الدهر قانع
لما عاش خل ذاق بمد خيله * فراقاً ولكن جانب الصبر واسع
﴿وقيل﴾ سأل داود النبي عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل فقال

الهي ماجزاء من عزى حزيناً ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أنت ألبسه (٣)
لا انتزعه عنه أبداً (وكتب) بعضهم الى آخر يعزیه بأنته

جعلت فداك من النائبات * ومتعت ماعشت بالمكرمات
سروران ما لهما ثاك * حياة البنين ودفن البنات
وقد نلت حظك من ذا وذاك * فلا تكفر النعم السابغات
وقد قال خير الورى كلهم * دفن البنات من المكرمات
(وقال آخر في التعزية)

اني معزيك عن عزيز * ان لرب الزمان غدرا
وكان ظهرا فكان أجرا * وكان نخرا فصار ذخرا

(واستظرفت) مسألتين في التعزية للامير قابوس {أحدهما} الدهر
أطال بقاء الاستاذ مفصله ومجمله مركب النوائب . وملعب العجائب . شأنه
نكت العهود . وتبديل البيض بالسود . ما قصد أحدا بخير الا اختتمه بشر .
وما عهد في الرعاية عهدا الانقض ذلك بغدر . ومن أراد منه سوى ذلك سيرة .
فقد أراد من الاعمى عينا بصيرة . ومن ابتغى منه الرعاية . ابتغى من الغول
الهداية . ومن تمنى ان يجري له غير مجراه . فقد تمنى شيئا لا يراه . وان آخر
الدنيا فناء . والجزع على الاموات غناء . والثانية : الدنيا شجرة ثمرتها النوائب .
وبيضة محها العجائب أولها رجاء السراب . وآخرها رداء من تراب .
والايام والليالي مطيات البلايا . وأمبات المنايا . والدهر داء ليس له دواء .
لاحياء لديه ولا وفاء . ثم بلغني ان الله قبض ابنك وكفالك . مؤنته . وآمنك
فنتته . وأنت ترجو بذلك جنة ومغفرة . فحزنت عليه وعزيت بذلك ولو
كنت عاقلا عزيت فيما هنيت . وهنيت فيما عزيت . الدهر مرآة الغرائب
ومخبأة العجائب . يأتي من حيث لا يدري . ويرمى عن ستر لا يرى . ينادي كل

يوم بتعجيل الانزعاج . والافتراش في مفارش العجاج . والشيخ أعلم بواقع
 الاقدار . وقوارع الليل والنهار . عن ان ينه من سنه . أو يدل على سنه . فمن
 أراد ان يزيده تبصيرا . ويخبره بما ليس به خيرا . كان كمن أهدي الى الارض
 هدوا . والى السماء سوا . جعل الله هذه امصائبه خاتمه . واصوارم الدهر صارمه

— الباب الثاني والثلاثون —

(من جمع بين التعزية والتهنئة في مقاله . فقد أقام العزي بالشكر في حاله)
 { لما مات معاوية بن أبي سفيان واستخلف يزيد لم يجتمع الناس على رأى
 أيمنونه بالخلافة أم يزونه بموت أبيه حتى أتاه رجل يقال له حجار بن
 أبجر العجلي فشق الصفوف ومزقها حتى دخل على يزيد فقال السلام عليك
 أيها الامير أما بعد فقد رزقت عظيما . ورزئت جسيما . وأوتيت من الأجر كريما .
 فبارك الله لك في الخلافة وعظم أجرك على المصيبة فكُن على رعيته عطوفا
 وباهل مودته شغوفا . ولمن يستند اليك رؤفا . كي يؤلف الله لك القلوب
 ويسر الله لك الدروب . ويطنى الحروب . فقال له يزيد من أنت قال حجار
 قال ما الفصاحة عندك قال اذا نطقت فلا أخطى أو أسرع فلا أبطى وأوردت
 الكلام الكثير بالجواب اليسير قال صدقت غير انك قصير قال المرء باصغريه
 بقلبه ولسانه ان نطق نطق بيان وان قاتل قاتل بجنان قال صدقت غير انك دميم
 قال أما الجمال فمن حلي النساء ولا حاجة لي فيه قال صدقت غير انك أحمر
 قال الذهب الأحمر ان كثرته جاد وان نقصته انتفع به قال صدقت غير انك
 أزرق قال البزاة زرق تقمدها الملوكة على وسائدهم وتطعمها بأيديهم وهي
 كرام الطير كما قيل

ألم تر طير الماء سودا عيونها * وان كرام الطير هن الازارق

قال صدقت فارفع اليّ حوائجك فقال كل شيء لا تحب ان يفعل بك
فلا تفعله (وقال) الوليد بن عبد الملك في خطبته رزقنا أعظم الرزية وأعطينا
أعظم العطية والحمد لله على العطية وأنا لله وأنا اليه راجعون على الرزية * وعزاه
وهناؤه آخر فقال أعزيتك بأبيك وأهنيك بنفسك فان كنت خلة لم يمت .
ومن كان مثلك ولداله لم يفت

هلال بدا وهلال أفل * كذاك اختلاف صروف الدول
لئن ساءنا أن جيشا مضى * لقد سرنا أن جيشا قفل
(وقال آخر)

أياعبد الاله ألا فشكرا * فان الشكر يتبعه المزيد
سعدت سعادتين بغير شك * ولم يجمعهما الا سعيد
(ولما توفي هارون الرشيد رحمه الله تعالى) وقعد محمد بن زبيدة للخلافة
أشكى على الناس فلم يدروا أيهنونه أم يعزونه فدخل أبو نواس وقال
جرت جوارى السعود والنحس * والناس في مأثم وفي عرس
فالعين تبكي والسن ضاحكة * فتجن في وحشة وفي أنس
يضحكننا القائم للانام كما * نبكي وفاة الامام بالامس
بدران بدر الى الجنان غدا * وبدر غدا ببغداد في الانس

﴿الباب الثالث والثلاثون﴾

(أجوبة المعزى ورقاع أهل البلى . دالة على كثرة الاسى وحرقة في الحشا)
(عن) ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ارجعوا الى أبيكم فقولوا
ياأبانا ان ابنك سرق قال كانت مشربة من زبرجد (وقال) ابن اسحاق كانت
من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمه كانت مشربة من فضة مرصعة

بالجوهس واستخرجت من وعائه على رؤس الناس (وروى) عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين فقال وهو لا يدري أي الناس هو بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى مصر فرعون الملك (أما بعد) فانا أهل بيت موكل بنا البلاء قديما أما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي اسحاق فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه فقاده الله وأما انا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الى فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائي عليه ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلدسارقا فان رددته الى والى ادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب ابيه اشتد بكأؤه وعيل صبره ثم كتب أما بعد فقد أناني كتابك وقرأته وفهمت ماذا كرت من أمر آبائك فانهم ابتلوا فصبروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا والسلام

(ولما) قتل جعفر البرمكي وحبس يحيى بن خالد كتب يحيى من الحبس الى أمير المؤمنين . وامام المسلمين . وخليفة المهديين من عبد أسلمته ذنوبه . واو بقتة عيوبه . وخذله شقيقه . ورفضه صديقه . ونزل به الحدثنان . وزل به الزمان . فخل الضيق بعد السعة . وعالج البؤس بعد الدعة . ولبس البلاء بعد الرخا . واقترش السخط بعد الرضا . واكتحل السهر بعد الهجود فساعته شهر . وليته دهر . قد عاين الموت . وقارب القوت . جزعا يا أمير المؤمنين من وجدك . وأسفا على ما سلف من قربك . لاعلى شيء من المواهب .

لأن الأهل والمال في يدي عارية منك والعواري مردودة . فأما ما
اقتصصت به من ولدي جعفر فأنما كان عبداً من عبيدك أخذته بذنبه . وعاقبته
بجرمه . لا يخاف عليك الخطأ في أمره . ولا أن تكون تجاوزت ما ينبغي فيه .
وما من رضاك خلف . وما من سخطك عوض فقد كبرت سني .
وضعفت قوتي . فأرحم شيبتي . فمنك الأقالة ومنى العثرة لست أعتذر إليك
بشيء إلا بما يجب من الإقرار حتى ترضى فإذا رضيت رجوت أن يظهر لك
من أمري وبراءة ساحتي ما لا يتعاضله ما مننت به على من رأفتك ورحمتك
والسلام { فأجابه } هارون ليس لكلامك جواب إنما مثلك مثل قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان الآية فأعاد إليه

قل للخليفة ذي الصنا * نفع والعطايا الفاشيه * وابن الخلائف من قري
ش والملوك الهاديه * أين البرامكة الذي * نرهموا إليك بدهيه
السخط منك أبادهم * لم يبق منهم باقيه * فكأنهم مما بهم
أعجاز نخل خاويه * صفرو الوجوه لهم غدت * خلع المذلة باده
مستضعفين مطردين * بكل أرض قاصيه * بعد الوزارة والاما
رة والامور الساميه * ومنازل كانوا بها * فوق المنازل عاليه
فاليوم حين رموا لذي * لك بما يشيب الناصيه * أضحوا وجل مناهمو
منك الرضا والعافيه * فانظر الى الشيخ الكبي * رف نفسه لك راجيه
أو ما سمعت مقاله * يا ذا الفروع الزاكيه * لا تسمتن بي العدا
نفسى لنفسك واهيه * قد كنت أرجو غير ذا * فاليوم خاب رجائي
واليوم قد سلب الزما * ن كرامتي وبهائي * واليوم قد ألقى الزما
ن كرامتي بفنائيه * ووهبت مالي كله * وفدى الخليفة تاليه
يا من أراد بي الردى * يكفيك ويحك ما به * يكفيك اني مستباح
(١٦ — المخزون)

عشيرتي ونسائي * يكفيك ما أبصرت من * ذلي وذل مقاميه
 ان كان لا يكفيك الا ان أذوق حماميه * فلقد رأيت الموت من
 قبل المات علانيه * وجعت أعظم جعة * جلبت على الداهيه
 فلبست أثواب الذليل ولم تكن سرباليه * انظر بطرفك هل ترى
 الا قصوراً خالية * وخزائناً مقسومة * قسم من قبل ممائيه
 ومصارعا وجائعاً * ومصاباً متواليه * ونوادبا يندبني
 ينعين قبل وفائيه . يابي علي البرمكي فلا * أجيب الداعي
 أخليفة الرحمن بي * لاثمتن أعدائيه * اذكر مقاساتي الامو
 رو خدمتي وغنائيه . وارحم أخاك الفضل والساقيين من أولاديه
 فلقد رجوت وقد دعوت . تك ان سمعت دعائيه . أخليفة الرحمن ان
 لك لورأيت بكائيه * وبكاء فاطمة الصغير . والمدايع جاريه
 دماً لها بتوجع * ياشقوتي وشقائيه * من لي فقد غضب الاما
 م على جميع رجاليه * وعدمت طيب عيشتي * وتغيرت حالتيه
 من لي وقد غضب الاما . م بسادتي وحمائيه * يعطاة الملك الرضى
 عودي علينا ثانيه * يا آل برمك انما * كنتم كنوزاً عاديه
 وبحور جود جمة . وجبال عز راسيه

(فلا) قرأها الرشيد بكى رقة له وقال لمسروق الخادم احرق الكتاب

فانه انعمه قد زالت ووقع عنه .

يا آل برمك انما * كنتم ملوكاً طاغيه * فطغيتو ووبغيتو

وكنتمونمائيه * هذى عقوبة من عصي * من فوقه وعصانيه

ذوقوا وبال أموركم * حتى تحلوا الهاويه

الباب الرابع والثلاثون

(الوقوف على القبور والتبكي للديار • سنة قديمة بين الحكماء في الاعصار)

﴿ قيل ﴾ لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربته نذبت فاطمة رضوان الله تعالى عليها وأخذت من تراب القبر ووضعت على عينيها وهي تبكي وتقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنها * صبت عليّ الأيام صرن لياليا
﴿ وقيل ﴾ ان الحسن كان اذا مر بدار أحدهم قال آيتها الدار أين سكانك
وأين عمارك ثم يقول والله لو أذن لها بالكلام لقالت اني كنت مجاورة لقوم سكنوا
القبور وانتقلوا الى التراب وصاروا كأن لم يكونوا في العالمين قط (قال) ورأيت
امراة بصرية تندب في مكة على قبر وتقول

طوتك خطوط دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرًا وطيا
ولو نشرت ترابك لي منايا * شكوت اليك ما صنعت اليا
بكيتك يا أخى بدرّ عيني * ولم يغن البكاء عليّ شيا
كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وقد كانت حياتك لي عظة * وأنت اليوم أوعظ منك حيا
قال فسألت عنها فقيل هي أسماء بنت الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي
رضي الله عنهم أجمعين تبكي على أخيها . وقد اجتمع الحسن البصرى مع القرزديق
في جنازة فقال له ما أعددت لهذا الموضع فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ
سبعين سنة ثم قال هل قلت في هذا شعرا قال نعم
أخاف وراء القبر ان لم يعافني * أشد من القبر التهاوبا وأضيقا

إذا جاء في يوم القيامة قائد * غيف وسواق يسوق الفرزدقا
 لقد خاب من أولاد آدم من مشى * إلى النار مغلول القلادة أزرقا
 يساق إلى دار الجحيم مسربلا * سرايل قطران لباسا محرّقا
 إذا شربوا فيها الحميم رأيته * يذوبون من حر الجحيم تمزقا
 (وكان) في جنازة أخرى فلما انفضوا أيديهم من التراب وقف الحسن ثانياً ثم قال
 أما أنت يا أبا رجا فقد استرحت من غموم الدنيا ومكائدها فجعل الله لك في
 الموت راحة طويلة ثم أقبل على الفرزدق فقال له يا أبا فراس كن من مثل
 هذا على حذر فأنما نحن على الأثر قال فبكي الفرزدق وأنشأ يقول
 واسنا بأنجي منهم غير أنا * بقينا قليلا بعدهم ثم نرحل
 (وقال) رأيت اعرابياً وهو يقول لولد له مات كنت هبة واجد . وعطية
 ماجد . وسرور والد . فاخذك معيرك . واستردك مفيدك . فألهمني الله
 الصبر . ولا أحرمني منك الاجر . وأجزل بك الذخر . ثم طفقت عيناه تذر فان
 الدموع وأنشأ يقول

نفسى ونفسك والنفوس معارة * يدعو بها أنى يشاء معيرها
 فلئن ذهبت فقد ذهبت ومقتلي * بدموعها يجري عليك غزيرها
 (قيل) مر محمود الوراق بقبر جميل فأنشأ يقول

يا صاحب القبر المنقش سقفه * ولعله من تحته مغلول
 لا ينفعك نقشه وسقوفه * وعليه من خلق العذاب كفول
 لا يعجبك ملكهم ونعيمهم * الملك ينفد والنعيم يزول
 لا تجزعن من الهزال فرما * ذبح السمين وعوفي المهزول
 (وقيل) لما دخل علي رضي الله عنه المدائن تمثل رجل من أصحابه يقول
 جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد

ان النعيم وكل ما يلهي به * يوماً يصير الى بلى ونفاد
 فقال علي رضي الله عنه لا تقل كذا ولكن قل كما قال الله تعالى (كم تركوا من
 جنات وعيون وزروع) ان هؤلاء القوم استحلوا الحرم . فحلت بهم النقم . فلا
 تستحلوا الحرم فتحل بكم النقم . وان هؤلاء كانوا وارثين فصاروا موروثين .
 (وقيل) ان اعرابياً وقف على قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقال
 قد زرت قبرك يا علي مسلماً * كل الزيارة من أقل الواجب
 ولو استطعت حملت عنك ترابه * فلطالما عني حملت نوائي
 (وقيل) ان اعرابياً وقف على مقبرة وجعل يقول

لكل اناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد
 أما ان ذارسم لدار قد أقفرت * وقبر لميت بالفناء جديد
 فهم جيرة الاحياء أما محلهم * فدارن وأما الملتقى فبعيد
 (قال) وسمعت طاهراً الصوفي وقد وقف على موضع خرب وقال
 سل الديار عن الاحباب ما فعلوا * سلها يقيناً وقل أني ترى رحلوا
 عسى تجيب وهيئات الجواب وقد * عفت فلم يبق لارسم ولا طلل
 ان الديار وان صمت فان لها * عهداً بأحبابنا اذ عندها نزلوا
 أهوى هواها بمن قد كان ساكنها * وليس في دارهم هم ولا شغل
 (وقال عمر بن أبي ذر) على قبر والده يا أبا ذر قد انصرفنا وتركناك . ولو أقننا
 ما نفعناك (وقيل) ان رومياً وقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
 وفاته بعشرة أيام فأسلم وقال

مررت بقبر المصطفى فكأنما * يكلمني والقبر غير كليم
 وفي قبره نور النبوة ظاهر * تصدع منه قلب كل سليم
 فان أنالمت أعهدك ياسيد الورى * فقبرك بيتي انه لكريم

(وعن أبي العتاهية) قال كنت أنا وجماعة نسير يحيى بن خالد فساروا وسط مقبرة فقال لي يحيى أنشدنا في هذا شياً فأنشدته

أما تعجبون لأهل القبور * كأنهم لم يـكـونوا بشر
توئمل في الأرض طول الخلود * وغيرك يزداد فيها قصر
ومن كان بالدهر ذا عزة * فعندي من الدهر كل الخبر
أيام من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضر
إذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

﴿ووقف﴾ اعرابي على قبر أب له فقال

كني حزناً أن صرت أضحك بعده * خلياً مع الخلان في عرصاته
وصارت يميني إذ خلاني بموته * وكانت يميني قبله بحياته

(ووقف) واحد على قبر صديق له فقال

سود المقابر مذ جاؤا بها بيض * وناظر العين مذ ودعت مغموض
قالوا هو الموت مفروض فقلت لهم * والحزن أيضاً على الاحرار مفروض
(وقال حكيم) يا أهل القبور ما لكم لا ترحمون اليتيم إذا بكى فقد تقطعت الآمال
وتصرمت الآجال . وتغيرت الأحوال . وبادت الأموال . فلا خير يعمل . ولا
عذر يقبل (وسمعت) أبا نعيم يقول رأيت اعرابياً وقد أقبل بجنازة فقال بخ بخ
فقلت يا اعرابي تعرفه قال لا ولكني علمت انه قادم على أرحم الراحمين (وقيل)
ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي
أنت وأمي يا رسول الله ان الصبر لحسن الاغنى . وان الجزع لقبيح الاغنى

(وقيل) وقف بعضهم على قبر فقال

ذاعزيز دعاه رب رحيم * غافر الذنب بالعباد عليم
دخل التراب مفرداً ووحيداً * فاعفر اليوم ذنبه يا عظيم

وتفضل بعفوك اليوم ياربّ عليه فأنت ربّ رحيم
 (وكان) سلمان الفارسي رضي الله عنه 'إذا زار القبور يقول كيف رأيتم معاينة
 ملك الموت والقبور والملكين هل نفعت عمارة الدور إذ سكن فيها غيركم وبقيتم
 في وحشة القبور ثم يقول يا أهل القبور علمتم حين لا ينفعكم العلم وندمتم
 حين لا تنفعكم الندامة

— — — — —

❦ الباب الخامس والثلاثون ❦

(ما ينفع نقش القبور والقباب • صاحبها الى البلى والذهاب)
 (عن أبي الحسن الازدي) قال دخلت اليمن فمررت بقبر عمر الحميري
 وهو مدفون في قصر مكتوب على بابه
 يعيش بمالي من كرهت حياته * وينعم بالاحباب كل لئيم
 وأسكنت لحدي بين صم جنادل * على الرغم مني والحبيب عديم
 فلو كان مني الموت يقبل رشوة * لشاطرته مالي وعشت سليم
 (وعن صالح المري) قال رأيت قبراً وعلى جنبه فسيل قد غرسه الميت وعلى
 القبر مكتوب

وفتي كأن جبينه بدر الدجي * قامت عليه نوائح وروامس
 غرس الفسيل مؤملاً لبقائه * فما الفسيل ومات عنه الفارس
 (وأشدّ أعرابي) نزل الدنيا أناس قبلنا * رحلوا منها وخلوها لنا
 ونزلناها كما قد نزلوا * وستبقى لأناس بعدنا
 وستبقى لأناس بعدهم * ليست الدنيا لحي وطننا
 (وكتب) على قبر عمرو بن الليث

تفكر بنا يا زائر القبر واعتبر * لآنك في الدنيا فلست بآيس

ملك خراسانا واكناف فارس * وما كنت عن ملك العراق بآيس
(ووجد) على قبر مكتوبا

حلبت الدهر أشطارد زمانا * وصرت مع الاماني في عيان
وانفقت الشباب على الملاهي * وها أنا والبلبي فرسا رهان
(قال) ورأيت على قبر مكتوبا (قل هو نبأ عظيم أتم عنه معرضون) وقيل
كان على قبر مكتوبا

رحم الله من رأى * مصرع القوم فاعتبر * نحن في برزخ مقبر *
مومن فوقنا المدر * فارتبنا بفعلنا * وقطعنا عن البشر
بعد نور القصور صـ * رنا الى ظلمة الحفر

(وعن ذي النون المصري) رحمة الله عليه قال رأيت مكتوبا آياتا استحسنتها وهي
لو يعلم الناس بقرب الله * تمسك الخلق بحب الله
قد عز من يعز بالاله * وذل من يذل بالملاهي

(وقيل) كان صديقان دفنا في قبر واحد وكانا قد أمرا ان يكتب على القبر
كننا على ظهورها والعيش في مهل * والشغل يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * فصار يجمعنا في بطنها الكفن
(وقيل) مكتوب في مقبرة ابن عباس رضي الله عنهما هذان اليتان

وكانت على الايام نفسي عزيزة * فلما رأيت قبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتي كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

(وعلى قبر آخر)

اسكنت من كان في الاحشاء مسكنه * بالرغم مني بين التراب والحجر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع * ومن حياء ومن صون ومن حفر
ان تمح يا قبر شيئا من محاسنه * لاتمح عنه جميل الذكر والخبر

(وعلى قبر كافور)

لا يثق بالحياة بعدي غيري * كل حي مصيره كمصيري
كنت في نعمة ولذة عيش * فمضى وانقضى كيوم قصير
(وأمر واحد أن يكتب على قبره)

الا أيها الماشي الى جنب خفرتي * توقف قليلا كي تفهم قصتي
رمتني المنايا اذ شبابي بشرخه * طري واذ ثوبي جديد وحلتى
فلم تخطنى لما رمتني بسهمها * فأصبحت وقفا بين نار وجنة
ولي خالق يمحو الذنوب بعفوه * اليه عذابي ان أراد ورحتي

الباب السادس والثلاثون

(الصدقة للميت المدفون . كالنفرج على المقيد المسجون)

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الميت في قبره الا كالنفرج المهوي ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ
أو صديق فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها فان الله تعالى ايدخل
على أهل القبور من دعاء أهل الدور أمثال الجبال فان هدية الاحياء الى الاموات
الاستغفار لهم (وقال) صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليبغ العبد الدرجة
فيقول هذا بدعاء ابنك لك (وقال) صلى الله عليه وسلم مر أخي عيسى بن
مريم عليه السلام بمقبرة من مقابر بني اسرائيل فاذا فيها قبر محشو من النور واذا
بين يديه مائدة ساطعة من النور فقال يا صاحب القبر كلني باذن الله تعالى فأمر
الله عز وجل الميت فقعده بمكانه فقال ياروح الله أتعرفني قال لا قال انا فلان بن فلان
قال من أين لك هذا النور والخير والفرح والسعة في قبرك ما كان عملك قال
ياروح الله هذا النور والخير والفرح والسعة في قبري من ولد صالح وصدقته
(١٧ — المخرون)

على وتضرعه لله تعالى فقال سبحان الله أولادكم ينعمونكم وأنتم في التراب
قال نعم وأنا نفخر بخلاف صالح كما تفخرون بالنبوة وإن لله تعالى موائد وإذا
كان يوم الجمعة بعثت إلينا الملائكة معهم موائد من نور وعليها صدقة الأحياء
للأموات وثواب دعائهم لهم وثواب حجهم عنهم يا روح الله ولد صالح بعد
موتنا أحب إلينا من أضعاف أعمالنا فقال عيسى عليه السلام إن الله تعالى
يرضى الأحياء بالأموات والأموات بالأحياء (وقال) صلى الله عليه وسلم إن
الرجل لير والديه في حياتهما فإذا لم يتصدق عنهما ولم يصل عليهما كتب عند الله
عاقا وإن الرجل يعق والديه في حياتهما فإذا مات تصدق عنهما وصلى عليهما كتب
عند الله باراً (وقال) صلى الله عليه وسلم من حج عن أبويه أو قضى عنهما
مغرمًا بعث يوم القيامة مع الأبرار (وقال) عليه الصلاة والسلام ما أهدى
للميت هدية ولا أتحف بتخفة أفضل من الاستغفار (وقال) عليه الصلاة
والسلام إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر بذرية صالحة
يرزقها للعبد فيدعون له بعد موته فيأجته دعائهم في قبره فذلك زيادة العمر
(١) وإن عمر بن وائل نذر لينجرن مائة بدنة فمات قبل أن ينجرها فنجر عنه
ابنه خمسين بدنة بعد موته وبقي الذي عليه فما الذي تأمرني يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات مسلماً ثم نحرته عنه أو تصدقت أو
صمت أو أعتقت عنه بالغه

— الباب السابع والثلاثون —

(السنة على من يدخل القبور • قراءة القرآن والدعاء للمأثور)

(١) قوله وإن عمر بن وائل الخ الظاهر أن هذا تمة حديث سقط أوله من النسخ

(عن عمر) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطي أجراً بعدد تلك الاموات (وعن أبي بكر الرازي) يقول قال صدقة المقابري وكان يكتسب فاذا حصل قوته كان يرجع الى المقبرة فيكون فيها الى أن يحتاج الى القوت قال بت ليلة متفكراً فرأيت كأن أهل تلك المقبرة قد جالس كل منهم على شفير قبره فقلت لواحد من القوم أترى قامت القيامة قال لا ولكنه مر بمقبرتنا هذه ثابت بن محمد العابد منذ عشرين سنة وقرأ ثلاثين مرة قل هو الله أحد فوهب لنا أجرها فنحن نقسمها بيننا من لدن ذلك اليوم فما استوفينا من أجورنا بعد ﴿ وعن أنس ﴾ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يقوم على قبر مؤمن فيدعو بهذا الدعاء الا غفر الله لذلك الميت . الحمد لله الذي لا يبقى الا وجهه ولا يدوم الا ملكه أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحداً صمداً وترّاً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن محمداً رسول الله جزي الله محمداً النبي ما هو أهله (وقال) صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر له وكتب برا (وقال) عليه الصلاة والسلام من زار قبر أبويه كان له كعدل حجة مبرورة وان كان زواراً لقبر أمه زارت الملائكة قبره من يوم يموت الى يوم يبعث (وقال) عليه الصلاة والسلام من زار قبر أمه وأبيه احتساباً كان حجاباً من النار (وأنشد بعضهم)

كانا اذا ما أبصرنا بك علة * جزعاً لما تشكو وعز عليها
وتمنيا لو صادفنا لك راحة * بجميع ما يحويه ملك يديهما
(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

زوارات القبور وقال مامن امرأة خرجت الى مقبرة من المقابر الا لعنها كل ملك في السماء والارض ويلعن ميتها ومن كان في تلك المقابر من الاموات ممن كان من اهل اللعنة وان جلست في بيتها ولم تخرج كتب الله لها حجة مبرورة وعمره مقبولة (وقال) صلى الله عليه وسلم لأن أمشي على جرة أو سيف أحب اليّ من أن أمشي على قبر امرئ مسلم وما أبالي أني وسط القبور قضيت حاجتي أو في وسط السوق (٣) (وقال) صلى الله عليه وسلم يموت ناس من أمتي وعلى أعناقهم مثل الجبال من الوزر يحشرون يوم القيامة وما عليهم خطيئة قليل بم ذلك يا رسول الله قال من طول البلى ودعاء الحى للميت

الباب الثامن والثلاثون

(ان منهم من سئل بعد الموت عن حاله . فأجاب بما شهد في ماله)

(قيل) رؤي يزيد بن هارون في المنام بعد موته بأربع ليال ف قيل له ما فعل الله بك قال تقبل مني الحسنات وتجاوز عن السيئات ووهب لي التبعات قلت وما كان بعد ذلك قال وهل يكون من الكريم الا الكريم غفر لي ذنبي فادخلني الجنة فقلت بم نلت الذي نلت قال بمجالس الذكر وقولي الحق وصدقي في الحديث وطول قيامي في الصلاة وصبري على الفقر قلت منكر ونكير حق قال إي والذي لا اله الا هو ولقد أقعداني وسألاني وقال لي من ربك وما دينك ومن نبيك فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب وقلت امثلي يسئل وأنا يزيد بن هارون الواسطي وكنت حزينا في دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس فقال أحدهما صدق هو يزيد بن هارون ثم نومة الدروس فلا روعة عليك بعد اليوم فقال أحدهما أكتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم وكان ثقة في الحديث ولكنه كان يبغض علياً أبغضه الله ﴿ وقيل ﴾ رؤي

الفضل بن الفضل الكندي بعد وفاته بأيام قليل له ما فعل الله بك قال رحمني
واكرمني وعفاني بعمل هاتين الاصبعين وأشار الى السبابة والابهام قال وكيف قال
من كثرة ما كتبت بهاتين صلى الله عليه وسلم تسليما (وروى) آخر فقال أنا محاسب
بابرة استعرتها فلم أرد لها (وعن محمد بن خالد البزاز) قال رأيت منصور بن عمار
في المنام فرأيت أنه قد أقبل وعليه ازار ورداء وهو يلي فقلت المحرمون من حيث
نحرم فقال هيهات ان نحرم من حيث تحرمون قلت أنت وحدك قال أصحابنا
خلف (٣) قلت مثل من قال ابن السماك وغيره قلت ما فعل بك ربك عز وجل
قال وقفت بين يديه وقال لي أنت منصور بن عمار قلت بلى يارب قال أنت الذي
كنت ترهّد الناس في الدنيا وترغب فيها قلت قد كان ذلك ولكن ما اتخذت
مجلساً الا وبدأت بالثناء عليك وثبتت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وسلم
وثلثت بالنصيحة لعبادك قال صدقت ضعوا له كرسيّاً في سمائي يمجّدني في
سمائي بين ملائكتي كما مجّدني في الارض بين عبادي (وقيل) رأى الخليل بن
أحمد في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم ينفعني فعول ولا مفاعيل الاسبحان
الله والحمد لله (وعن معروف الكرخي) رحمة الله عليه قال كان في جوارى
رجل فاسق مواصل للرحم فمات فرأيت في المنام ويده لواء من نور ومن خلقه
جمع عظيم وعليهم لباس من نور ومن بين أيديهم نور ومن خلفهم وحواليهم
وهم في النور يخطف بصراً ضوءهم يقرؤون بصوت رفيع هذه الآية (فأت
ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل) فلما وقع بصره على مضى فقلت بالذي
أكرمك لما وقفت حتى أسأل عن حالك من هؤلاء الذين معك قال هؤلاء
الواصلون للارحام يمضون تحت هذه الاعلام الى دار السلام قلت بهم نلت ما
نلت وقد كنت فيما كنت قال بصلة الارحام نلت الانعام في دار السلام من
ذي الجلال والاكرام (وعن أبي أيوب النهرجوري) قال رأيت في النوم كأنني

ماراً بمقبرة فرأيت على كل قبر قبة من نور قلت بم نلتهم هذه قالوا دفن ولي من أولياء الله البارحة عندنا فنثر عليه قباب من نور فأصاب كل واحد منا قبة (وعن أبي العباس بن عطاء) قال رأيت الجنيد في النوم فقلت له يا أبا القاسم ما فعل الله بك قال لي اذكر السنة الفلانية وقد احتبس على الناس المطر فقلت بلى قال كنت مع الناس فقلت ما أحوج الناس إلى المطر فوبخني الله تعالى على ذلك فقال لي يا جنيد ما أحوج الناس إلى المطر ما يدريك أن الناس يحتاجون إلى المطر وأنا مدبر أمر الخليقة بعلمي اني عليم خبير اذهب فقد غفرت لك (وروى) عبد العزيز بن سليمان العبادي في المنام وعليه ثياب خضرو على رأسه اكليل من أوّلؤ فقلت يا أبا محمد كيف كنت وكيف رأيت الامر هناك قال أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمومه الا أن رحمة الله عز وجل وارت منا كل عيب وما نلنا الا بتفضل

❦ الباب التاسع والثلاثون ❦

(ومنها من أوصى بأحسن الوصية • بعد ذهابه من الدنيا ونزول النبيه)
 (قيل) رأى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله أوصني فقال من اعتذر يوماً فهو مغبون ومن كان غده شراً من يومه فهو ملعون ومن لم يعتقد النقصان في نفسه فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما قال رأيت أبي في المنام بعد موته فقلت له اوصني فقال يا بني لا تدع في كل الامور الاستغفار فنعم الهدية للمذنبين (وبلغني) ان أبا بكر بن عياش قال رأيت أبي في منامي ثلاث ليال يقول هذا البيت وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر في أي الحالين تنزل
 (وروى) (أويس القرني رحمة الله عليه في النوم فقيل له اوصني فقال اتبع محبته

واحذر نعمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك عنه في خلال ذلك (وقال) محمد
ابن الفضل رأيت شقيقا البلخي فقلت له يا معلم الخير أرشدني الى الخير فقال الخير
كله في ذكرك لمولاك . والشر كله في حبك لدنياك (ورؤى) الحسن في المنام
ف قيل له اوصني فقال عليك بالقرآن وكثرة القربان فان ذنك يقربانك الى
الرحمن (ورؤى) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في المنام ف قيل له يا امير المؤمنين
حرف خير تعظني به قال ما رأيت احسن من تواضع الاغنياء للفقراء فقلت
زدني قال فأحسن منها تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله عز وجل

— ❦ — ❦ الباب الرابعون ❦ —

(أشد مصيبة في الاسلام . وفاة خير الانام . محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم)

وتذكر من وفاته ما تشتهي

— ❦ — ❦ الباب الحادي والاربعون ❦ —

(موت أبي بكر الصديق . رضى الله عنه خبر صاحب ورفيق . أوقع في قلوب المؤمنين الحريق)
(عن عائشة) رضى الله عنها قالت جلست عند رأسه فجعلت ابكي وأقول
لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا خرجت يوماً وضاق بها الصدر
فقال لا تقولين ذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ثم ذكر
الطيب الخبر وقال اغسلوا ثوبي هذين اللذين على وقال عند الموت وهو
ينضنض لسانه هذا الذي اوردني الموارد فرؤى في المنام وسئل عن هذا قال
قلت به لا اله الا الله وأوردني الجنة

— ❦ — ❦ الباب الثاني والاربعون ❦ —

(قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . رضى الله عنه فتت الاكباد وزاد في الاكثاب)

(قيل) خرج عمر رضى الله عنه يوما يطوف في السوق فلقى أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيا (٣) فقال يا أمير المؤمنين ثقل على المغيرة بن شعبة قال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وأي شئ صناعتك قال أنا نجار نقاش حداد قال ما أرى خراجك يكثر على ما تصنع من هذه الأمور لقد بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح فعلت قال نعم قال فاعمل رحا قال لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من المشرق الى المغرب ثم انصرف عنه فقال عمر رضى الله عنه لقد أوعدني العبد آثقا قال ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الاحبار فقال يا أمير المؤمنين اعهدي إليك ميت بعد ثلاث قال وما يدريك قال أجده في كتاب الله المنزل يعنى التوراة فقال عمر أنك لتجد في كتاب الله عز وجل اسمي واسم أبي في التوراة قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وانه قد دنا أجلك قال وعمر رضى الله عنه لا يحس وجعا ولا ألماً فلما كان من الغد جاء كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان فلما كان الغد جاء فقال بقي يوم وليلة فلما كان في الصباح خرج عمر رضى الله عنه يوكل بالصفوف رجالا يسوونها فإذا استوت جاء هو وكبر قال ودخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر رضى الله عنه ست ضربات احداهن تحت سترته وهى التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي بكر البشى وكان خليفه فلما وجد حر السلاح سقط رضى الله عنه وقال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين هو ذا قال تقدم فصل فصلى عبد الرحمن وعمر رضى الله عنه طريح قال ثم حمل عمر رضى الله عنه فادخل الى داره فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال اني أريد أن أعهد اليك فقال يا أمير المؤمنين نعم ان أشرت على قبلت قال (٣) فما تريده قال أنشدك بالله لتشير على بذلك قال اللهم لا قال فوالله

لا أدخل فيه أبدا قال فبني صمتا حتى أهد إلى نفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ادع لي عليا وعثمان والزبير وسعدا وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا أموركم أنشدك الله يا علي ان وليت من أمور المسلمين شيئا ان تحمل بنى هاشم على رقاب الناس أنشدك بالله يا عثمان ان وليت من أمور المسلمين شيئا ان تحمل بنى ابي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور المسلمين شيئا ان تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا شاوروا ثم اقضوا امركم وليصل بالناس صهيبة ثم دعا أبا طلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل اليهم وأوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين الذين خرجوا من ديارهم ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصى الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوءوا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم ويعفوا عن مسيئتهم وأوصى الخليفة من بعدي بالاعراب فانهم مادة الاسلام وان يأخذ من صدقاتهم حقا فتوضع في فقراتهم وأوصى الخليفة بدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة بعدي على أنفي من الراحة يا عبد الله ابن عمر اخرج فانظر من قتلتني قال يا أمير المؤمنين قتلتك أبو لؤؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يا عبد الله بن عمر اذهب الى عائشة رضي الله عنها فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر يا عبد الله بن عمر اذا اختلفت القوم فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والانصار فيسلمون ويقول لهم أهذا عن ملا منكم فيقولون معاذ الله قال ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما رآه عمر رضي الله عنه أنشأ يقول

توعدني كعب ثلاثاً أعدها * ولا شك ان القول ما قال لي كعب
ومابي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب
ثم دعى اليه الطيب فسقاده نيزدا نخرج غير متغير فسقاده لبنا فخرج كذلك
فقال اعهد يا امير المؤمنين قال قد فرغت ثم توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين
من ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ولما طعن عمر رضي الله عنه سمعوا قائلاً يقول
عليك سلام من أمير وباركت * يد الله في ذاك الاله اب الموزق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها * برأى في أحكامها لم تفتق
ومن يسع أو يركب جناحي نعامة * ليدرك ما قدمت بالامس يسبق
ودخل عليه ابن عباس رضي الله تعالى عنه حين طعن فقال أبشر يا أمير
المؤمنين أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كفر الناس وقالت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس وتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو عنك راض ولم يختلف في خلافتك رجلان فقال أعد فأعاد
فقال عمر رضي الله عنه المغرور من غرر تموه لو ان لي ما على الارض من
بيضاء وصفراء لا فتيت به من هول المطلاع وكان يقول لنفسه الحمد لله الذي
لم يخرجني من الدنيا حتى رأيتك مجروحة فظالما جرحني ثم قال الحمد لله
الذي لم يخرجني بمن يحاجني بقول لا اله الا الله ثم قال وكان أمر الله قدرا
مقدورا يا مملك الموت أنا والله منذ عشرين سنة أتأهب لك فناحتة الجن



الكتاب الثالث والاربعون

(قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان • هو والله من الكبار والعدوان)
(عن الزهري رضي الله تعالى عنه) قال قلت لسعيد بن المسيب هل
أنت مخبري كيف قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما كان شأن الناس

وشأنه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال قتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً قلت وكيف كان ذلك قال ان عثمان رضي الله تعالى عنه كان يحب قومه فولي الناس اثني عشرة حجة وكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة وكان يجي من أمرائه ما يكرهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عثمان يستغاث فيهم ولا يعزلهم فلما كان في الستة الحبيب الاواخر استأثر بني عمه فولاهم واشترط معهم وأمرهم بتقوى الله تعالى وولي ابن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان من قبل ذلك من عثمان هنات الى عبد الله بن مسعود وابي ذر وعمار بن ياسر وكان بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم مافيا لاجل عبد بن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم مافيا وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لاجل عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب اليه كتابا يتهده فابى ابن أبي سرح ان يقبل ملتهاه عنه عثمان بن عفان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر فقتله فخرج من أهل مصر سبعة رجل الى المدينة فقدموها ونزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في موافيت الصلاة ما فعله ابن أبي سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة رضي الله عنها اليه تقول قد قدم عليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عن هذا الرجل فايّت الاحمائيّة فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان متكلم القوم فقال انما سألوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب عليه حق فانصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلا أوله

عليكم مكانه فأشار الناس بمحمد بن أبي بكر فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح نخرج محمد ومن تبعه فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذاهم بغلام أسود على بعير يخبط الارض خبطاً كأنه رجل يطالب أو يطالب فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم الغلام أنا غلام لأمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقال له رجل من القوم هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا الذي أريده فأخبروا بأمره محمد بن أبي بكر فقال للغلام من أنت فاقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل من القوم انه غلام لعثمان بن عفان رضي الله عنه فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه اداة قد يلبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداة فاذا فيها كتاب من عثمان رضي الله عنه الى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي في ذلك ان شاء الله فلما قرؤا الكتاب فرعوا ورجعوا الى المدينة فتم محمد الكتاب بخواتيم نفر ممن كانوا معه ودفع الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فاجتمعوا الى طلحة والزبير وعلى وسعد ومن كان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم فاخبروهم بقصة الغلام وقرأوا الكتاب فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق على عثمان رضي الله عنه وزاد ذلك من كان غضب لابن

مسعود وابي ذر وعمار حنقا وغيظا وقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمناز لهم وما منهم أحد الا مغتم لما قرؤا الكتاب وحاصر الناس عثمان رضي الله عنه وأجلب عليه محمد بن ابي بكر بنى تميم وغيرهم وأعانهم علي ذلك طلحة بن عبيد الله وكانت عائشة رضي الله عنها تقرضه كثيرا فلما رأى ذلك علي رضي الله تعالى عنه بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم بدري ثم دخل علي عثمان رضي الله عنه ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي هذا الغلام غلامك قال نعم قال وهذا البعير ببعيرك قال نعم قال فاستكتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به فقال له علي الخاتم خاتمك قال نعم فقال له علي كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتابتك وهذا الخاتم عليه خاتمك لا تعلم به تخلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام الى مصر قط وأما الخط فعفر ففروا انه خط مروان وشكوا في امر عثمان رضي الله عنه وسألوه ان يدفع اليهم مروان فابي وكان مروان عنده في الدار فخرج اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم غضابا وشكوا في امره وعللوا ان عثمان رضي الله عنه لا يحلف بالله باطلا الا ان قوما قالوا لا نبري عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف حال الكتاب وكيف يقتل رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير حق فان يك عثمان كتبه عزلناه وان يك مروان كتبه علي لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في امره فأبى عثمان رضي الله عنه ان يخرج اليهم مروان وخشى عليه القتل وحاصر الناس عثمان رضي الله عنه ومنعوه الماء فأشرف علي الناس فقال أفيكم سعد قالوا لا فسكت ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقيناه ماء فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فبعث اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت

تصل اليه حتى جرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى أوصلوا
اليه الماء ثم بلغ عليا ان عثمان يراد قتله فقال انما أردنا منه مروان فأما قتل
عثمان فلا وقال للحسن والحسين رضي الله عنهما اذهبا بسيفكما حتى تقفأ على
باب عثمان فلا تدعأ أحداً يصل اليه بمكرهه وبعث الزبير ابنه وبعث عدة من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان
ويسألوه اخراج مروان فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهم حتى
خضب الحسن بن علي بدماه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وكذلك محمد
ابن طلحة وشيخ قبر مولى علي فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر خشى ان يغضب
بنو هاشم لاجل الحسن والحسين فتنشر الفتنة فأخذ بيد رجلين من أهل
مصر فقال لهم ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن والحسين كشفوا
الناس عن عثمان وبطل ما يريدون ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار
فنقتله من علو حتى لا يعلم من الناس أحد فتسور محمد وصاحبا من دار رجل
من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لان كل من كان
معه كان فوق البيوت ولم يكن معه الا امرأته فقال لهما محمد مكانكما فان معه
امرأته ففاحتى أبدأ كما بالدخول فاذا أنا أضبطه فادخلنا حتى تقتلاه قال فدخل
محمد بن أبي بكر فاخذ بلحيته فقال له عثمان والله لورا لك أبوك لساءه مكانك مني
فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه وخرجا هارين من حيث دخلوا
وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها أحد لما كان في الدار من الجلبة فصعدت
امرأته الي الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل عليه الحسن والحسين
ومن كان معهما فوجدوه مذبوحا فانكبوا عليه يبكون فبلغ الخبر علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد
ذهبت عقولهم بالخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان رضي الله عنه فوجدوه

مقتولا فاسترجعوا وقال علي رضي الله عنه لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأتما على الباب فرفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير وخرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو غضبان وكان علي يرى أن طلحة أعان على قتله فقال طلحة مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين قال عليك لعنة الله ألا يسوءني قتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدري لم يقم عليه بيعة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال علي رضي الله عنه لو أخرج اليكم مروان قتل قبل أن تثبت عليه حجة وخرج علي رضي الله عنه وأتي منزله وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي كرم الله وجهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم يقولون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال علي ليس ذلك اليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا فقالوا ما نرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فقال ابن طلحة والزبير وكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده ولما رأى ذلك علي خرج إلى المسجد فصعد المنبر وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت اصبع طلحة شلاء فتطير منها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال ما خلقه أن ينكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا ثم نزل ودعا الناس وطلب مروان فهرب منه وطلب نفر من ولد مروان وبنى أبي معيط فبربوا منه وخرجت عائشة رضي الله عنها باكية تقول قتل عثمان مظلوما فقال لها عمار بن ياسر بالامس تحرطين عليه وانت اليوم تبكينه وجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان فقالت لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما إلا أني أرى وجوههما وكان معهما محمد بن أبي بكر واخبرت عليا

والناس بما صنع محمد قال فدعا على رضى الله عنه محمداً فسأله عما ذكرت
امراة عثمان رضى الله عنه فقال لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله
فذكر لى أبي فقامت عنه وأنا نائب والله ما قتلتها ولا أمسكتها فقالت امراة عثمان
صدق ولكنه أدخلهما (وفي رواية) أن محمد بن أبي بكر ضرب بيده الى
لحية عثمان وقال كيف ترى ما صنع الله بك فقال ما صنع ربي الا خيراً فاتق
الله وذّر لحيتي فان أبا بكر لو كان حياً لم يأخذها أبداً وكان قد تناول عثمان
مصحفه عن يمينه وولى سنة أربع وعشرين فولى ثلثي عشرة سنة ثم قتل صبيحة
الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثنتين
وثمانين سنة (وعن) محمد بن عبد الملك بن محمد باسناده عن هشام بن عروة
عن أبيه قال لما قتل عثمان رضى الله عنه بقي ثلاثاً لا يدفونه حتى هتف
بهم هاتف يقول ادفنوه ولا تصلوا عليه فان الله تعالى قد صلى عليه وعن
(أبي قلابة) قال كنت أطوف في طوقتي فسمعت رجلاً يقول يا ويلاه النار
النار نخرجت لا أنظر اليه فاذا أنا برجل مقطوع اليدين والرجلين منكب على
وجهه فقلت يا عبد الله ما حالك قال كنت فيمن دخل على عثمان يوم الدار وقد
هممت ان أدنوه منه منهم فصرخت امرأته وأقبلت علينا فلطمتها فنظرت الى
عثمان فتمرغرت عيناه فقال لي مالك وما شأنك أشل الله يديك ورجليك
وأعمى بصرك وأدخلك نار جهنم قال فأخذتني الساعة رعدة شديدة فخرجت
هارباً من دعوته فلما صرت الى هذا المكان أتاني آت فصنع بي ما ترى فقد
استجاب الله دعاءه كما ترى فما بقي الا النار فقلت له بعدا وسحقاً (وأنشد فيه)

وكف يديه ثم أغلق داره * وأيقن ان الله ليس بغافل

وقال لمن في الدار ان لا تقاتلوا * عفا الله عن كل أمرى لم يقاتل

(وقيل) بعث على رضى الله عنه اليه الحسن فقال انى أرى هؤلاء القوم

أزعموا على قتلك أفتجب ان أنصرك فقال لا أريد لاني قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي فقال لي يا عثمان ان أنت قاتلتهم نصرتك عليهم فان لم تقاتلهم فأنت مفطر عندي وقد أردت الافطار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت الحسن وانصرف الى أبيه وأخبره بذلك

الكتاب الرابع والاربعون

(قل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وهن في الدين من كل جانب)
(عن) أبي صالح قال كتب امير المؤمنين رضي الله عنه الى محمد بن أبي بكر سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فابعث اليّ تسعة نفر من أشرف مصر فلما ورد الكتاب عليه بعث بهم وفيهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي فلما قدموا على امير المؤمنين نظر اليهم والى عبد الرحمن بن ملجم المرادي فعرفه بنعته فقال له من انت قال انا عبد الرحمن بن ملجم المرادي فقال امير المؤمنين

اشدد خيا زيمك للمو * ت فان الموت لا فيكا

ولا تجزع من المو * ت اذا حـل بناديكا

(فقال) عبد الرحمن بن ملجم يا امير المؤمنين والله ماجزعت من الموت فخمه على فرس وكساه حلة حبر وكان لا يدخل على علي رضي الله عنه الا قال أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد فلم يزل معه ولا يعرف أحد تأويل هذه الايات حتى قتل قال فينها هو ذات يوم اذ قال له أمير المؤمنين يا ابن ملجم هل كان لك لقب في صفرك قال لم يكن يا أمير المؤمنين قال بلى كان ألت كنت سميت شقيق الشقي عافر ناقة ثمود قال بلى يا أمير المؤمنين وقد كان أمير المؤمنين يكرمه (١٩ — الخزون)

ويلاطفه حتى لعن الله أهل النهروان والقي عليهم الخزي وقد خرج ابن خباب
 ابن الارت متوجها إلى أمير المؤمنين فأخذه الخوارج فقتلوه وكان خباب من
 أصحابه وشهد على قتلهم إياه خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ورجال معه فأتى
 أمير المؤمنين بعظم ودم وأتى بابن خباب مقتولا فركب اليهم أمير المؤمنين
 وكان رئيسهم عبد الله بن وهب الراهي فسألهم الدية فقالوا ليس منا رجل
 إلا وقد رضي بقتله فأنعم علي رضي الله عنه فخرج اليهم وكبر ثلاثاً حتى
 أخزاهم الله ولعنهم وأفناهم الناس بسيفهم فلما كان يوم الثالث من شهر
 رمضان ركب عبد الرحمن بن ملجم فجعل يطوف في سكك الكوفة اذ هو
 بامرأة يقال لها قطام وكانت تميمية فوقف عبد الرحمن بن ملجم بحذاءها فاعجبه
 حسنهما وجمالهما فقال لها أيم أنت أم ذات بعل قالت أيم قال لها تزوجين نفسك
 مني فقالت من أنت قال أنا عبد الرحمن بن ملجم فقالت كفاء كريم ولكن جعلت
 على نفسي أن لا ينكحني أحداً إلا بصداق ثلاثة آلاف دينار فقال عبد الرحمن
 لك ذلك قالت وعبد وقينة قال لك ذلك قالت وقتل على بن أبي طالب فاقشعر
 جلده وتغير لونه لما دخل عليه من قولها فقال لها ويحك ما تريد من قتل
 على بن أبي طالب وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بشروا قاتل
 على بالنار فقالت المرأة كن كما أنت حتى أخرج إليك فدخلت بيتها ولبست ثياباً قاقا
 وتزينت وتعطرت وتحسنت ثم خرجت إليه فجعلت تكلمه حتى عشقها فقال لها
 خصلة قالت وما هي قال تصالحيني على ضربة واحدة قالت نعم فوق العاتق وفي
 بعض الروايات أن عبد الرحمن قال لها حدثيني كيف أولعت بقتل على من بني
 هاشم قالت أنه قتل أبي وأخي يوم النهروان وتركني فريدة لا يحميني أحد قال
 فتزوجها على ما أرادت من المهر ووفاه إياه غير الضربة فلما مضى من الشهر يعني
 شهر رمضان ستة عشر يوماً صلى علي رضي الله عنه بالناس صلاة العصر فلما قضى

صلاته التفت الى الحسن رضى الله عنه فقال يا أبا محمد كم مضى من شهركم
هذا فقال الحسن رضى الله عنه ستة عشر يوماً ثم التفت الى الحسين رضى الله
عنه فقال له أيضاً كذلك فقال الحسين رضى الله عنه مثل ما قال الحسن رضى
الله عنه فقال علي أنا لله وأنا اليه راجعون أما والله لنفقدون أباكم فيما بينكم
وبين العشرين فبادروه ماذا تقول يا أمير المؤمنين قال اني سمعت خليلي
أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يخبر عن خليله جبريل صلوات الله وسلامه
عليه اني أقتل في هذه الليلة قالوا يا أمير المؤمنين أفلا نحرسك قال سبحان
الله أمن أهل السماء تحرسونني أم من أهل الأرض قالوا من أهل الأرض
قال فانه لا يكون شئ في الأرض الا بقضاء الله تعالى في السماء فاذا قضى في
السماء نزل الى الأرض وان الله تعالى على لجنة حصينة لا يخلص اليها شئ
فاذا انكشفت الجنة خلص الامر ولا يؤمن عبد حتى يستيقن حقايقنا
ان ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه فلما سمعوا مقالته
سكنوا قال فدخل ابن ماجم على المرأة تلك الليلة فكان منه ما يكون للرجل
من المرأة غير المباشرة فلما كان عند السحر قالت قم يا هذا الى حاجتنا وقد
كانت أعدت سيفاً مسموماً وقالت خذ هذا السيف واخرج في أمرك فانك
ستجده في المسجد فخرج عبد الرحمن فانطلق حتى انتهى الى المسجد والسيف
في يده وكان أمير المؤمنين رضى الله عنه لا يخرج الا ومعه السيف الا تلك
الليلة فانه خرج في ازار ورداء وبيده قضيب وهو يقول خلوا سبيل المؤمن
الجاهد في الدين لا يعبد غير الواحد ياله صوايح ويتبعها نوايح الصلاة يرحمك
الله الصلاة ثم دخل المسجد من الباب الصغير فقام اليه ابن ملجم فضربه ضربة
على هامته على الموضع الذي كان ضربه عمرو بن عبدود فقال على بسم الله الله
أكبر أوجعتني أيها الشقي صدق خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ثم وقع

منشياً عليه وهرب الشقي فأخذه رجل من همدان فقال له يا شقي قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فقال نعم فجعل عمامته في عنقه وورده إلى المسجد فلما نظر إليه على رضى الله عنه قال له يا عدو الله ألم أكرمك ألم أحسن إليك ألم ألم ثم أمر به إلى الحبس ثم أقبل على الحسن رضى الله عنه وقال يا بني إن أنا عوفيت ولن أعافي منها فخلوا سبيله فقد كان لا يبيكم عون صدق (٣) وإن مضيت لسبيلي فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوا عليها فلما سمع أمير المؤمنين رضى الله عنه أصوات النساء دعاءً مكلثوم فقالت يا أبتاه إلى من تسكل هؤلاء الضعفاء فقال إلى من وكلهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اخرجوا عني ساعة تخرجوا عنه فسمعوا نداء من داخل البيت أئمن يلي في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم أنه بما تعملون بصير ثم لم يزل يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى فارق الدنيا ثم غسلوه وكفنوه وحنطوه وصلوا عليه ودفنوه ليلاً فلما فرغوا من دفنه أراد الحسن أن ينفذ وصية أبيه في الشقي ابن ملجم فأبى ذلك الحسين ومحمد وشعبة وقالوا والله لو اشتراك الخافقان في دم أمير المؤمنين لقتلناهم فكيف هذا الشقي وحده فضربوه حتى قتلوه وقام الحسن بالامر بعد أبيه (وقيل) لم يولد في بيت ابن ملجم من ذلك اليوم ذكر إلا صار مجذوماً وفي ذلك يقول الشاعر

فلم أر مہرا ساقه ذو سہاحة * کہر قطام من فصیح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقینة * وضرب علی بالحسام السم
فلا مہر أغلی من علی ولو غلا * ولا فتک الا دون فتک ابن ملجم
(قيل) قال له رجل من الخوارج انک ميت قال کلا مقتول والذي نفسی
بيده بل مقتول ضربة علی هذه تخضب منها هذه وأشار إلى رأسه ولحيته عهد
معهود وقضاء مقضى وقد خاب من افتری وقال له رجل الا تستخلف قال لا

ولكن أترككم الى ما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول في خطبه
آخر عمره اللهم اني سئمتهم وسئمتوني ومللتهم فارحمني منهم وارحمهم مني
واستخلف خمس سنين الاشهرين وقتل في شهر رمضان قبل دخول العشر
الاولاخر في سنة أربعين رضى الله عنه وكرم وجهه (وعن منصور بن عمار)
رحمه الله قال سجت على شاطئ البحر فأثيت على دير وفي الدير صومعة فيها
راهب فناديته فأشرف على فقات من أين يأتيك طعامك قال من مسيرة
شهر قلت حدثني بأعجب ما رأيت من هذا البحر قال ترى تلك الصخرة في
وسط البحر وأوماً بيده الى صخرة في وسط البحر قلت نعم قال يخرج كل
يوم من هذا البحر طائر مثل النعامة يعني كبيراً فيقع عليها فاذا استوى تقايا
رأس انسان ثم تقايا يدا ثم رجلا ثم يدا ثم تلتئم الاعضاء بعضها الى بعض ثم
يستوي انساناً قاعداً ثم يهيم للقيام فاذا هم للقيام نقره نقرة فأخذ رأسه ثم اخذ
عضواً عضواً كما فاء فلما طال علي ناديته يوماً وقد استوى جالسا من أنت فالتفت
وقال انا عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه
وكل الله بي هذا الطير يفعل بي ما ترى كل يوم الى يوم القيامة

❦ الباب الخامس والاربعون ❦

(قتل السيد الحسن . أودت الكمد والحزن)

(قيل) ان الحسن رضى الله عنه كان جالسا في مسجد جده صلى الله
عليه وسلم بعد ما صلى العصر فاذا رجل اعشى دخل من باب المسجد فقال ايكم
الحسن بن علي فقال الحسن ها انا ذا فقال السلام عليك ياسليل النبوة ومعدن
الرسالة وذرية خير البشر وسيد شباب اهل الجنة انا رجل قريب عهد بالعمي
بلغني ان من ضمكم الى نفسه او ضمته الى انفسكم ممن به آفة او علة فرج الله

عنه ببركة أرواح أبدانكم الطاهرة فما عليك لو ضمنتني الى نفسك لعل الله تعالى يرد علي نور بصري قال فقام الحسن رضي الله عنه فأخذ بيده وأخرجه من المسجد وأخذ يضمه الى نفسه قال فعمد الاعمى الى عصاه في رأسها زج من حديد سموم فوضعه على ظهر قدم الحسن ففرزه فيه وشد عليه فقال الحسن ما الذي صنعت قال عمدا لنستريح منك قال فامض على وجهك يا قليل العقل فاني أخاف عليك ابن أبي ردام (٣) وقام الحسن قائما على باب المسجد حتى توارى الرجل من بين عينه ثم وضع باطن قدمه اليمنى على ظهر قدمه اليسرى على موضع الجراحة كي يمسك الدم فلما حمل الى منزله قام ليثته كلها يصلي ولم يدع ورده ونصيبه من القيام فلما انتصف الليل ضعف وعجز عن القيام فجلس وما زال يقرأ ويركع حتى أصبح وبلغ به الوجع غايته فنظر الى الجراحة فاذا الحديد كانت مسمومة واذا السم انتشر في بدنه وانتفخ بدنه فلما أيس منه قيل له أوص فدعا بالحسين ودعا بأولاده وقال أوصيكم بتقوى الله وحفظ حرمانه والتمسك بسنن جدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه وصيتي فيكم فقالوا له أخبرنا من الذي صنع بك هذا قال ان الذي صنع بي هذا أمره الى الله وسيندم عن قريب واني لا أكره ان أدلكم عليه قالوا فما نصنع ان ظفرنا بقاتلك قال لا تعرضوا له بمكروه فاني غفوت عنه وجعلته في حل وسعة فمن خاصمه فانا خصمه يوم القيامة ثم قال اني لم أنتقم في الدنيا ممن عاداني (ووقف) محمد بن الحنفية يوماً على قبره فقال لئن غدرت بحياتك لقد هدتني وفاتك فلنعم القبر قبر يضمك ولنعم الكفن الكفن كفن ضم بدنك ولنعم البدن بدن ضم روحك وكيف لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وخليفة أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء وجدك المصطفى وأبوك الوارد على الخوض غدا وأمك خيرة النساء وقد رضعت ثدي الايمان وربيت في

حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت أنفسنا غير طيبة عنك ولا مشاكلة
لك في الجنان أنت وأخوك سيدا شباب أهل الجنة

— الباب السادس والاربعون —

(قتل الامام الحسين . أحرق كل قلب وأبكى كل عين)

(قيل) قدم على الحسين رضي الله تعالى عنه رجل من الكوفة فقال له الحسين
من أين أقبلت قال من الكوفة حين نظرت الى مسلم بن عقيل وهاني بن
عروة المذحجي قتيلين مصلوبين منكبين في السوق للقضايين وقد وجه بهما
الى يزيد بن معاوية فاستعبر الحسين رضي الله عنه باكيًا ثم قال انا لله وانا اليه
راجعون ثم تحرك وعزم على المسير الى العراق مع مواليه وشيعته فدخل
عليه عمر بن الحارث بن هشام المخزومي ثم جاءه عبد الله بن عباس رضي الله تعالى
عنهما لما سمع انه رضي الله عنه خارج الى الكوفة فقال له كلاهما له اعلم
انك تسير الى قوم قتلوا أميرهم وفي ذلك البلد قتل أبوك وابن عمك واغتيل
فيه أبوك والناس انما هم عبيد الدنيا والدينار فاتق الله والزم هذا الحرم فقال لهما
الحسين يا بني ألم لأن أقتل بالعراق أحب الي من ان اقتل بمكة وما قضي الله فهو
كائن وانا مع ذلك أستخير الله تعالى وأنظر ما يكون فقال ابن عباس فان كان لا
بد من المسير الى العراق فلا تسر بأولادك ونسائك فاني خائف عليك ان تقتل كما
قتل عثمان بن عفان وأهله وولده ينظرون اليه ولا يقدرّون له على حيلة قال الحسين
رضي الله عنه استخير الله جلت عظّمته في هذا الامر وأنظر ما يكون فخرج
عبد الله بن عباس من عنده وهو يقول واحسيناه ثم جمع الحسين أصحابه الذين قد
عزموا على الخروج معه الى العراق وأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير
وجملا يحمل عليه رحله وزاده ورحل عن مكة يوم الثلاثاء يوم التروية لثمان

مضت من ذي الحجة ومعه اثنان وثمانون رجلاً من شيعته ومحبيه ومواليه وأهل بيته فسار حتى صار بذات عرق فلقيه رجل من بني أسد فقال من أين أقبلت قال من العراق قال كيف خلفت أهل العراق قال يا ابن رسول الله خلفتهم والقلوب معك والسيوف مع بني أمية فقال له الحسين ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واتصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة أن الحسين قد توجه نحو العراق فكتب الى عبيد الله بن زياد بسم الله الرحمن الرحيم من الوليد بن عتبة الى عبيد الله بن زياد أما بعد فإن الحسين بن علي توجه نحو العراق وهو ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر يا ابن زياد ان تأتي اليه سواً أو مكرها فتهيج على نفسك في هذه الدنيا ما لا يسده شيء ولا ينساه الخاصة والعامة أبداً مادامت الدنيا والسلام فلم يلتفت عبيد الله بن زياد الى كتاب الوليد بن عتبة فسار الحسين حتى نزل الثعلبية وذلك في وقت الظهر ثم وضع الحسين رضى الله عنه رأسه فرقد ثم انقبه من نومه باكياً فقال له ابنه على رضى الله عنه يا أبت لا أبكي الله عينك فقال الحسين يا بني قد رأيت فارساً على فرس وقد وقف علي فقال يا حسين انكم تسرعون المسير والمنايا تسرع بكم الى الجنة فعلمت ان أنفسنا قد نعت الينا فقال له يا أبت أفلسنا على الحق قال نعم والذي اليه المرجع فقال علي يا أبت فاذاً لا نبالي بالموت ثم سار حتى نزل بالصفاح فاذا هو بالفرزدق بن غالب الشاعر قد أتاه فسلم عليه ثم دنا منه فقبل يده فقال له الحسين رضى الله عنه من أين أقبلت يا أبا فراس قال من الكوفة قال كيف خلفت أهل الكوفة قال خلفتهم وقلوب الخلق معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل في خلقه ما يشاء وربنا كل يوم هو في شأن فان نزل القضاء بما نحب فالحمد لله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم نبعد من

الحق نيته وسار الحسين رضي الله عنه حتى نزل قصر ابن مقاتل فاذا فسطاط
مضروب ورمح مركوز وفرس واقف فقال الحسين رضي الله عنه لمن هذا
الفسطاط قالوا لعبيد الله بن الحر الجعفي فأرسل اليه الحسين رضي الله عنه
رجلا من أصحابه يقال له الحجاج بن مسروق الجعفي فاقبل فسلم عليه فرد عليه
السلام ثم قال ما وراءك فقال الحجاج ورأيي يا ابن الحر أن الله قد أهدى اليك
كرامة ان قبلتها فقال وما تلك الكرامة فقال هذا الحسين بن علي رضي الله
عنهما يدعوك الى نصرته فاب قاتلت بين يديه أجرت وان قتلت بين يديه
استشهدت فقال له عبيد الله بن الحر والله يا حجاج ما خرجت من الكوفة
الا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها ولا أنصره لانه ليس في الكوفة شيعة
ولا أنصار الا مالوا الى الدنيا الا من عصم الله منهم فارجع اليه وأخبره بذلك
فاقبل الحجاج الى الحسين رضي الله عنه فأخبره بذلك فقام الحسين وانتقل
ثم سار اليه في جماعة من اخوانه وأهل بيته فلما دخل وسلم وثب عبيد الله
ابن الحر عن صدر مجلسه وقبل يديه ورجليه وجلس الحسين رضي الله عنه
لخدمته وأثنى عليه ثم قال يا ابن الحر ان أهل مصر كم هذا كتبوا الي وأخبروني
انهم مجمعون على نصرتي وسألوني القدوم اليهم وقدمت وایس الامر على
ما زعموا وأنا أدعوك الى نصرتنا أهل البيت فان أعطينا حقنا حمدنا الله تعالى
على ذلك وقبلناه وان منعنا حقنا وركبنا الظلم كنت من أعواني على طلب
الحق فقال عبيد الله يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لك في الكوفة
شيعة وأنصار يقاتلون معك لكنت أنا من أشدهم على ذلك ولكني رأيت
شيعتك بالكوفة وقد فارقوا منازلهم خوفا من سيوف بني أمية فلم يجبه الى
ذلك وسار الحسين رضي الله عنه حتى اذا كان على مرحلتين من الكوفة اذ
بعث عبيد الله بن زياد الى حرب الحسين رضي الله عنه الحر في ألف
(٢٠ — المخزون)

فارس شاكي السلاح فلما نظر اليهم الحسين رضي الله عنه وقف في أصحابه ووقف
الحر بن يزيد الرياحي في أصحابه فقال الحسين رضي الله عنه أيها القوم من
أنتم قالوا نحن أصحاب الامير عبيد الله بن زياد فقال الحسين رضي الله عنه
ومن قائدكم قالوا الحر بن يزيد فناداه الحسين رضي الله عنه وقال ويحك يا حر
لنا أم علينا فقال الحر عليك يا أبا عبد الله فقال الحسين لا حول ولا قوة
الا بالله ودنت صلاة العصر وأمر الحسين بالاذان وصلى صلاة
العصر بالمسكرين جميعاً ثم وثب قائماً وقال اني لم أقدم هذا البلد حتى أنقذني
كتبكم فان كنتم على ما قلتم واعدتوني ما أطعن اليه وأثق به من
عمودكم ومواثيقكم أدخل معكم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدمي
عليكم انصرفتم والسلام فسكت القوم ولم يجيبوه بشيء وورد كتاب عبيد الله
ابن زياد الى الحر بن يزيد أن الزموا الحسين وأصحابه ولا تفارقوه حتى
تأتيني به فاني قد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفاركك حتى تفعل ما أمرتك
والسلام فقال الحر لا والله لا يكون ذلك والله ان نفسي لا تطاوعني ولا تجبيني
الى ذلك ولما صلوا صلاة العصر وراء الامام الحسين رضي الله عنه قال له الحر بن
يزيد انا قد أمرنا ان لقيناك أن لا نفاركك حتى نقدم بك على الامير قال فتبسم
الحسين ثم قال يا ابن يزيد أما تعلم ان الموت أدنى من ذلك ثم التفت الحسين
رضي الله عنه الى أصحابه فقال اركبوا واحموا النساء فركبوا وساقوا النساء بين
أيديهم فخلوا بينهم وبين المسير فقال الحر لا بد لي من أن انطلق بك الى عبيد
ابن زياد فقال والله لا أتبعك أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي فقال الحر اني لم أمر
بقتالك فخذ طريقاً غير هذا الطريق وامض حيث شئت حتى أكتب الى ابن زياد ان
الحسين رضي الله عنه خالفني الطريق فلم أقدر عليه وأنا أنشدك الله في نفسك فقال له
الحسين يا حر كانك تحدثني بأني مقتول قال نعم والله يا أبا عبد الله ما أشك

في ذلك إلا أن ترجع حيث جئت ثم أقبل الحسين رضي الله عنه حتى سار من وراء غدير العذيب والقادسية فظهر له الحرب يزيداً أيضاً فقال له الحسين قد أمرتنا أن نأخذ على غير هذا الطريق فأخذنا وقبلنا مشورتك فقال صدقت ولكن هذا كتاب عبيد الله بن زياد وقد قدم عليّ يؤنّبني ويضعفني في أمرك فأقبل على الحسين رجل من أصحابه يقال له زهير بن القين البجلي فقال له يا ابن رسول الله ذرنا حتى نقاتل هؤلاء القوم فإن قاتلنا إياهم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فقال صدقت يا زهير ولكن ما كنت بالذي أبدؤهم بقتال حتى يبدؤني فقال زهير فسر بنا حتى نزل بكر بلاء فأنها على شاطئ الفرات فنكون هنالك فإن قاتلونا قاتلناهم واستعنا بالله عليهم فدمعت عينا الحسين رضي الله عنه ثم قال اللهم اني أعوذ بك من الكرب والبلاء ونزل الحر ابن يزيد حذاءه في ألف فارس وكتب الحسين الى أشرف الكوفة ممن كان يظن أنهم على رأيه وهو وهاب وسلم الكتاب الى رجل من شيعته فلما وصل باب الكوفة لقيه بعض الاعداء وحمله الى عبيد الله بن زياد فقتله . ثم جمع الحسين رضي الله عنه ولده وأخوته وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين ثم نظر اليهم فبكى ساعة ثم قال اللهم انا عترة نبيك وولده وأهل بيته وقد أخرجنا وطرّدنا وأزعجنا عن حرم جدنا صلى الله عليه وسلم وتعدت بنو أمية علينا اللهم فخذ بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين ثم نادى في أصحابه ورحل من موضعه ذلك حتى نزل بكر بلاء ثم قال هذا كرب وبلاء ههنا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا ومسفك دمائنا قال فنزلوا وحطوا الاثقال ناحية من الفرات فجعل النساء يبكين ويلطمن الحدود ويشقن الجيوب وجعلت أم كلثوم تنادي وأحمداه . وأبأ القاسم . وأعلياه . وأمي وأمياه . وأخي وأختاه . وأحسيناه . واضيعته بعدك يا أبا عبد الله فعزاه وصبرها الحسين رضي الله

عنه وقال يا أختاه تعزي بعزاء الله وارضى بقضاء الله فان سكان السموات ينفنون
وأهل الارض ينفنون وجميع البرية لا يبقون كل شئ هالك الا وجهه وجميع
الخلق اليه يرجعون ثم قال رضى الله عنه يا أختاه يا أم كلثوم ويا زينب ويا فاطمة
ويا رباب انظرن اذا أنا قتلت فلا تشقن عليّ جيباً ولا تخمشن عليّ وجهاً ولا
تقن هجراً. وأقبل الحر حتى نزل حذاء الحسين رضى الله عنه ثم كتب الى عبيد
الله بن زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء فكتب ابن زياد الى الحسين
رضى الله عنه أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء وقد كتب الى يزيد
ابن معاوية ان لا أتوسد بالوثير ولا أتمتع بالخمير الا أن ألقك باللطيف الخبير
أو ترجع الى حكمي وحكم يزيد بن معاوية والسلام فلما قرأ الكتاب رمى به بين
يديه وقال لا أفlech قوم اشتروا مرضاة الخلق بسخط الخالق فقال له الرسول
يا أبا عبد الله هات الجواب فقال ماله عندي جواب لانه قد حقت عليه
كلمة العذاب فرجع الرسول فأخبر ابن زياد فغضب غضباً شديداً ثم جمع
أصحابه فقال أيها الناس من منكم يتولى قتال الحسين بولاية الري فلم يجبه أحد
فالتفت الى عمر بن سعد فقال أريد ان تخرج الى قتاله وقد كان ولاء
الري فاذا نحن فرغنا من عمله سرت الى عمالك ان شاء الله تعالى فقال له عمر
ابن سعد أيها الأمير أسألك ان تعفيني من قتاله منعا عليّ بذلك فقال له ابن زياد
قد أعفيناك فاردد الينا عهدنا الذي كتبناه لك واجلس في منزلك حتى نبعث
غيرك فقال عمر أمهلني اليوم حتى انظر في امري فانصرف عمر الى منزله وجعل
يستشير اخوانه فما اشار اليه احد بذلك وكلهم يقولون اتق الله ولا تفعل فقال
له حمزة بن المغيرة بن شعبة والله لأن تخرج من دنياك ومالك ولسطان الارض
كلها لكان خيراً لك من ان تلقي الله الملك الجبار بدم الحسين ولد فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشرب عمر في قلبه من ولاية الري ما شرب

فلما أصبح ذهب اليه وأبى أن يرد العهد وأنشأ يقول
 أترك ملك الري والري رغبة * أم أرجع مذموماً بقتل حسين
 وقبل القتال وأجابه إلى الخروج فخرج في أربعة آلاف وسار إليه الحرس
 يزيد في ألف فارس . ثم دعا برجل من أصحابه وأرسله إلى الحسين ثم ذكر
 القصة إلى آخرها وجاء الليل فبات الحسين رضي الله عنه راکعاً ساجداً وباكياً
 ومستغفراً وأصحابه كذلك لهم دوي كدوي النحل فلما كان وقت السحر خفق
 الحسين رضي الله عنه برأسه ثم استيقظ وقال لهم تعلمون ما رأيتم في منامي
 الساعة رأيتم كأن كلاباً قد شدت عليّ تنهشني وفيها كلب أبقع رأيت أشدها
 عليّ واظن أن الذي يتولى قتلي رجل أبرص من هؤلاء القوم ثم اني رأيتم بعد
 ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول
 يا بني أنت شهيد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقد استبشر بك أهل السموات
 وأهل الصفيح الأعلى فليكن افطارك عندي الليلة عجل ولا تؤخر فهذا ملك
 قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء فهذا ما رأيتم وقد أزعج
 الأمر واقرب الرحيل من هذه الدنيا لا أشك في هذا وأصبح الحسين رضي
 الله عنه يصلي بأصحابه ثم استوى على فرسه وتوجه نحو القوم في نفر من أصحابه
 وبين يديه يزيد بن الحصين فقال له الحسين رضي الله عنه كلم القوم واحتج
 عليهم فتقدم يزيد حتى وقف قريباً من القوم فقال لهم يا هؤلاء القوم اتقوا الله
 فإن أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم قد أصبحوا بين أظهركم هؤلاء ذريته
 وعترته وبناته وحرمة فباتوا الذي عندهم وما الذي تريدون أن تصنعوا بهم
 فقالوا نريد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيهم فقال لهم ابن
 حصين اولاً ترضون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه ويلكم يا أهل الكوفة
 انسيتم كتبكم إليهم وعهودكم لهم وقد فعلتم بهم ما فعلتم ومنعتموهم ماء الثرات

وهو مبذول لجميع خلق الله يشرب منه اليهود والنصارى والمجوس والكلاب والقردة
والخنازير فبئس ما خلقتم محمد صلى الله عليه وسلم في أهل بيته ما لكم لا سقام الله يوم
القيامة فبئس القوم أتم فقال الحسين رضي الله عنه هذه سهام رسل الموت اليكم
فقوموا يرحمكم الله الى الموت الذي لا بد منه فوثبوا وخرجوا وهم اثنا
وثمانون رجلا والقوم اثنان وعشرون ألفا يزيدون أو ينقصون فاقتتلوا ساعة من
النهار حتى بقي الحسين في نفر يسير فعندها ضرب الحسين رضي الله عنه يده
الى لحيته وهو يقول اشتد غضب الله علي النصارى اذ جعلوا الله ولدا واشتد
غضب الله على اليهود اذ جعلوا الله ولدا واشتد غضب الله على المجوس اذ
عبدوا النار والشمس والقمر من دون الله واشتد غضب الله على قوم اتفقت
آراؤهم على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيهم والله لا أجيبهم
الى شيء مما يريدون أبداً حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي ثم صاح أمان من مغيب
يفيئنا لوجه الله أمان من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا بالحر بن يزيد الرياحي قد أقبل يركض حتى وقف بين يدي الحسين رضي
الله عنه فقال يا ابن رسول الله اني كنت أول من خرج عليك فأذن لي أن
أكون أول مقتول بين يديك فلعلي أكون أول من يتقدم ويصافح جدك محمداً
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فكان أول من تقدم الى مبارزة القوم فلم يزل
يقاتل حتى عرق فرسه فبقي راجلاً فجعل يقاتل وهو يرتجز حتى قتل رحمه
الله ثم برز من بعده يزيد بن الحصين الهمداني فقاتل قتالاً شديداً وهو يقول
اقتربوا مني يا قتلة أمير المؤمنين . اقتربوا مني يا قتلة أولاد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذريته الباقيين . فحمل عليه رجل فقتله رحمه الله ثم خرج جعفر بن عقیل ثم
عبد الله بن مسلم ثم عبد الرحمن بن عقیل ثم محمد بن عبد الله ثم جعفر ثم
أخوه عون بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب فعندها صاح الحسين رضي الله عنه

صبراً يا بني عمومي صبراً يا أهل بيتي فوالله ما رأيتم هواناً بعد هذا اليوم
أبداً ثم تقدم اخوة الحسين عازمين علي الموت فأول من تقدم منهم ابو
بكر بن علي واسمه عبدالله وأمه ليلى بنت مسعود التميمية فقاتل حتى قتل ثم
تقدم علي بن الحسين وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة فرفع الحسين رضي
الله عنه شيبته نحو السماء وقال اللهم اشهد على هؤلاء القوم وقد برز اليهم غلام
أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم امنع عنهم
قطر السماء وامنعهم بركات الارض وفرقهم فرقا ومزقهم ممزقا واجعلهم طرائق
قددا فلا ترضى الولاة عنهم أبدا فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا
ويقتلوننا ثم صاح بعمر بن سعد وقال مالك قطع الله رحمك ولا بارك لك
في أمرك وسلط عليك بعدي من يذبحك على فراشك كما قطعت رحمي
ولم تحفظ قرأتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم علي بن الحسين
فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الشام من كثرة من قتل منهم ثم رجع الى
ابيه وقد أصابته جروح كثيرة فقال له يا أبت العطش قد قتلني وثقل الحديد
قدأ جهدي فبلى الى شربة من ماء سبيل فبكي الحسين رضي الله عنه ثم قال
قاتل قليلا فما أسرع أن تلتق جدك محمدا صلى الله عليه وسلم يتيك بكاسه
الأوفى فرجع علي بن الحسين رضي الله عنهما الى الحرب فلم يزل يقاتل حتى قتل
رضي الله عنهما فبقي الحسين رضي الله عنه فرداً وحيداً ليس معه ثان الا
ابنه علي وهو ابن سبع سنين وله ابن آخر في الرضاع يقال له علي فتقدم الى باب
الخيمة فقال ناولوني ذلك الطفل حتى أودعه فناولوه الصبي وهو يقول يا بني ويل
لهؤلاء اذا كان خصمهم جدك محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سهم قدأ قبل حتى ارتكز
في لبة الصبي فسهط ونزل الحسين رضي الله عنه عن فرسه وتقدم حتى وافى
القوم ثم انه دعاهم الى البراز فلم يزل يقتل كل من برز اليه من عيون العسكر

حتى قتل منهم مقتلة عظيمة قال فتقدم اليه شمر بن أبي الجوشن في قبيلة عظيمة
فقاتلهم الحسين رضي الله بأجمعهم وقاتلوه حتى حالوا بينه وبين رحله فجعل
يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب الماء يشرب منه شربة فلما حمل
بفرسه على الثرات حملوا عليه حتى أدخلوا عنه ثم رماد رجل من القوم بسهم فارتكز
في جبهته فترعه وسالت الدماء على وجهه ولحيته ثم حمل عليهم كالليث الغضوب
فلم يدرك أحداً منهم الا فجعه بسيفه فجعة خذله بها على الحضيض والسهم تأخذه
من كل ناحية وهو يتقيها بنجره وصدره ثم حملوا عليه من كل جانب فضربه
رجل ضربة على يده اليسرى وضربه آخر على حبل عاتقه من ورائه ضربة
منكرة ورماه آخر بسهم فوق السهم في نحره وطعنه آخر على خصرته فندها
سقط الحسين رضي الله عنه عن فرسه على الارض فقال عمر بن سعد انزلوا
وحزوا رأسه فنزل الشمر الملعين لعنة الله على القاتل والآمر والراضي به
فضربه برجله وألقاه على قفاه ثم أخذ لحيته فجز رأسه وأخذ سيفه وتركوا قيصره
وسراويله رضي الله عنه وألحقنا به وتوجه الفرس نحو خيمة النساء تركض
اليها وهي تسهل فلما نظرت اليها أخوات الحسين رضي الله عنهن وبناته واهله
وولده ليس عليها أحد رفعن أصواتهن بالصراخ واقبل القوم لعنهم الله حتى
أحدقوا بالخيمة وسلبوا زيتتهم وحليهن وثيابهن واضرموا الخيمة بالنار وبث
عمر بن سعد بالرأس الى عبيد الله بن زياد فجاء بالرأس رجل اسمه بشير بن
مالك حتى وضع الرأس بين يديه وهو يقول

املاً ركابي فضة وذهبا * اني قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس اماؤا * وخير من صلي وصام منصبا

وخيرهم اذ يذكرون النسبا

فغضب عبيد الله بن زياد من قوله وقال اذا علمت انه كذلك فلم تقتله

والله لانت مني خيراً ولا لحقنك به ثم قدمه وضرب عنقه ثم ساقوا أولاده كما تساق الاسارى حتى اذا ابلغوهم الى الكوفة برز الناس فجعلوا ينظرون اليهم ويكون وينوحون وعلي بن الحسين رضي الله عنهما في ذلك الوقت كان كثير الغلة فكان يقول ألا ان هؤلاء يكون وينوحون من أجلنا أنصفنا يا الله ممن ظلمنا وبنى علينا ﴿﴾ وقيل ﴿﴾ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم مبد ومعه أصحابه وكان من أمره في الشاة ما قد عرفه الناس قال في الخيمة هو وأصحابه حتى أبرد وكان يوماً قانظاً شديد الحر فلما قام من قيلولته دعا بماء فغسل يديه وألقاه ثم مضى فاه ومجه على عوسجة كانت الى جنب خيمة أم مبد ثلاث مرات وذكرت وضوءه الى أن قالت فلما كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كاعظم دوحة عادية ونمت وخضد الله شوكتها وقويت عروقها واخضر ساقها وورقها ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر كاعظم ما يكون من الكمأة على لون الورس المسحوق ورائحة العنبر وطعم الشهد والله ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمان الا روى ولا سقيم الا برئ ولا ذو حاجة وفاقة الا استغنى ولا أكل من ورقها بعير ولا ناقة الا سمن منذ يوم نزل وأخصبت بلادنا وأمرعت وكانت تسمى الشجرة المباركة ويؤمها الكثير من أهل البوادي ويستسقون بها ويتزودون من ورقها في الاسفار ويحملونه معهم في الاراضي القفار فيقوم لهم مقام الطعام والشراب فلم نزل كذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها فاحزننا ذلك وفزعنا له فما كان الا قليل حتى جاءنا نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد قبض في ذلك اليوم وكانت بعد ثمر ثمرّاً دون ذلك الثمر في العظم والرائحة والطعم واقامت على ذلك ثلاثين سنة فلما كانت ذات يوم أصبحت واذا بها قد شاكت من أولها الى آخرها وذهبت نضارة عيدانها

وتساقط جميع ثمرها فما كان الا يسير حتى وافى مقتل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فما أثمرت بعد ذلك لاقليلاً ولا كثيراً وانقطع ثمرها فلم نزل نحن ومن حولنا ومن وراءنا ندوي مرضانا بها ونستشفى بها فقامت على ذلك مدة طويلة ثم أصبحنا يوماً وقد انبعث من ساقها دم عبيط حتى جاوز ورقها وصار يقطر ماء كماء اللحم فعللنا أنه قد حدث حادث عظيم فينا نحن فزعون مهومون نتوقع الداهية حتى أظلم الليل اذ سمعنا بكاء وعويلاً من تحتيها وجلبة شديدة ودرجة وسمعنا صوت باكية تقول يا ابن النبي ويا ابن الوصي ويا ابن البتول ويا بقية السادة الاكرمين ثم كثرت الرنة والاصوات فلم نفهم ما يقولون فأتانا بعد ذلك قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ويبيت الشجرة وجفت فكسرتها الرياح والامطار بعد ذلك وذهبت واندرس ورقها . وقد روي باسناد صحيح انه سمع من قول جنية في تلك الليلة

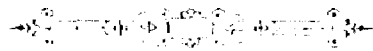
يا ابن الشهيد ويا شهيداً عمه * خير العمومة جعفر الطيار
عجبا لمقتول أصابك حده * في الوجه منك وقد علاه غبار
وقال دعبل في قصيدته

زر خير قبر بالعراق يزار * واعص الحمار فمن نهك حمار
ولك المودة في قلوب ذوي النهي * وعلى عدوك مقتة ودمار
يا ابن الشهيد ويا شهيداً عمه * خير العمومة جعفر الطيار
﴿وباسناد عنهم﴾ لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما جاء غراب
فتمرغ في دمه ثم طار فوقع في المدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي
رضي الله عنهما وهي الصغرى فرفعت رأسها ونظرت اليه وبكت بكاء شديداً
وأنشأت تقول

نعي الغراب فقلت من * تنعاه ويلك يا غراب

قال الامام فقلت من * قال الموفق للصواب
قلت الحسين فقال لي * حقا لقد سكن التراب
اب الحسين بكر بلا * بين الاسنة والضراب
أبكي الحسين بعبرة * ترضى الاله مع الدواب
ثم استقل به الجنا * ح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي * بعد الوصي المستجاب

(قال) فنعته لاهل المدينة فقالوا قد جاءتنا بسحر فما كان أسرع ما جاءهم
الخبر بقتل الحسين رضي الله عنه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن
أبي طالب رضي الله عنه يا علي ان موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه
سأل ربه فقال يارب ان أخي هارون مات فاغفر له فأوحى الله تعالى اليه
يا موسى لو سألتني في الاولين والآخرين لأجبتك اليه ما خلا قاتل الحسين
ابن علي فاني أنتقم من قاتله . والله أعلم بالصواب . واليه المرجع والمآب .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين



حمداً لمن أطلع في سماء المعارف شمس البيان . وأنطق مصانع الخطباء
بلاطف التبيان . وأطلق السنة الحكماء من قيود الفهاهة والعي . وأجرى
يراع البلغاء بما يشرح صدر كل أديب ألمعي . وصلاة وسلاماً على عنصر
الاصطفاء الأعلى الذي لم يصل الى حد غايته سواه . وصفوة حضرة ذي
الجلال الاسنى الذي غاب عن غير من اصطفاه كنه معناه . سيدنا ومولانا
محمد منبع الكمال والجود . الخصوص بجوامع الكلام من بين من دخل تحت
دائرة الوجود . وعلى آله مصابيح الهدى . وأصحابه أنجم الاهتداء . ماشدا
قري على الغصون . وغردت بلابل الافراح فتسلي به كل محزون .

﴿أما بعد﴾ فقد تم بمعونة ذي المنة والطول . وتوفيق من لأمنة الا
به ولا حول . طبع هذا الكتاب البديع الفائق الميمون . بل عقد الدر الباهر
النضيد والجوهر المصون . المسمى طبقاً لمعناه (بالخزون . في تسلية المحزون) لاحد
أفاضل الادباء من صالحى السلف . التاركين من الآثار العلمية ما أجرى لهم
الثناء العاطر على السنة الخلف . على نفقة حضرة الاستاذ

العالم الفاضل الشيخ محمد العتر الدمياطي وقد اعتنى

بتصحيحه وتنقيحه حضرة الفاضل الشيخ على

الهواري غفر الله لهما والمسلمين وطبع بمطبعة

النيل بجوار الكتبخانه الخديويه بمصر

المحمية سنة ١٣٢١ هجرية على

صاحبها أفضل الصلاة

وأزكى التحية

